
النشر لمن يستحق
قصص
مطلوب وظيفة
آلاء شمردل
بطالتي
تسمح بذلك
كيان كورد
دار ليلى

ألاء شمردل

"بطالتي تسمح بذلك"

كيان كورب للنشر والتوزيع
(دار ليلى)

الكتاب:

بطالتي تسمح بذلك

المؤلف:

ألاء شمردل

الغلاف:

محمد محمود

الإخراج الفني:

حسام سليمان

التدقيق اللغوي:

محمود الغرباوي

★★★

إدارة التوزيع:

عبد الله شلبي

الإشراف العام:

محمد سامي

★★★



رقم الإيداع: 13334/2012

الترقيم الدولي: 978-977-5238-42-5

المهندسين-23 شارع السودان-تقاطع مصدق-الدور الرابع-مكتب 11

هاتف: (002) (012) 23885295 - (002) (02) 33370042

البريد الإلكتروني: mail@darlila.com الموقع الرسمي: www.darlila.com

ألاء شمردل

"بطالتي تسمح بذلك"

كيان كورب للنشر والتوزيع

دار ليلى



مقدمة الناشر

كانت دار ليلى (كيان كورب) منذ ما يزيد على 4 سنوات، قد أطلقت مشروعها «النشر للجميع.. ولمن يستحق» الذي نال استحسان الكثير من المواهب وقتها، والتي أصبح البعض منها كتابًا محترفين بعد ذلك، أو توجهوا لمشروعات ثقافية متنوعة، لمعوا من خلالها..

ومع ازدياد كم الأعمال التي يبدعها الشباب – خاصة بعد ثورة يناير العظيمة – وفي ظل الظروف الحالية التي تمر بها مصر، أصبحت سوق النشر والتوزيع في حالة ضعيفة، خاصة مع استمرار ازدياد أسعار الخامات، وإحجام كثير من دور النشر عن ممارسة نشاطها بتوسع، وضعف القدرة الشرائية للقارئ المصري، كذلك صارت عملية النشر محفوفة بالمخاطر، التي تخيف طرفيها – الناشر والقارئ – على حد سواء.. وكانت الدار نفسها من الدور التي تأثرت – وبشدة – اقتصاديا، ومع اضطرارها لإغلاق باب تقديم الأعمال، فكرنا في حل بديل، هو النشر لمن يستحق.. وتطورت الفكرة كثيرًا، إيمانًا من دار ليلى (كيان كورب) بأهمية الحركة الثقافية، وحرصًا منها على استمرارها في دورها، وإيمانًا منها – كما عهدتموها – بالشباب الموهوب..

لذا فقد قررت الدار إحياء مشروعها «النشر لمن يستحق» لفترة محدودة هذا العام، وعلى مراحل، وبشكل استثنائي، لعل ذلك يحرك المياه الراكدة.. آملين أن يحقق ذلك مجموعة نتائج، على رأسها:

- توفير الفرصة للراغبين في النشر أن ينشروا أعمالهم، وأيضا عبر دار نشر لها اسمها ولله الحمد، مع كبار الكتاب.

- تحقيق الأمان الاقتصادي للكاتب؛ حيث يضمن عودة ما دفعه بعد عام واحد، مع هامش ربح خفيف، إضافة للغرض الأسمى، وهو أن يرى أعماله منشورة.

- تحقيق المصداقية والوضوح بين الناشر والكاتب، عبر شكل وبنود العقد الذي يعتمد على حماية الملكية الفكرية، كما هي عادة عقود دار ليلى.

- توفير عناوين جديدة ذات قيمة للسوق المصرية، الأمر الذي يخدم العملية الثقافية.

ندعو المولى - عز وجل - أن يكلل مجهوداتنا بالنجاح، وأن ينال مشروعنا رضاكم، وكلنا ثقة بأن كثيرًا من الأسماء التي تنشر من خلال هذا المشروع ستصبح — مثل سابقيها - بإذن الله من اللامعين في مجالات ثقافية عدة.

الناشر

إهداء

بعد حمد الله على فضله، وثنائه على نعمه، أهدي كتابي هذا.

إلى أبي وأمي.

اللذين لولاهما لما عرفت للرشد سبيلا.

إلى إخوتي وأصدقائي.

إلى دار ليلى التي تبنت هذا المشروع.

أما عن إهدائي الخاص فهو إلى بطالتي التي سمحت لهذا الكتاب أن يكون.

آلاء إبراهيم شمردل



مقدمة

ساعات قليلة تبقت على ميعاد أول يوم عمل لنا بالعيادة.. ساعات قليلة ليست هي المقصد من حديثي هذا ولكن ما يعنيني أن أخبركم به هو ما مررت به خلال 8 أشهر منذ تخرجي من الجامعة ثم انشغالي بالعمل على «توضيب» العيادة وما صاحب تلك الشهور من اضطرابات نفسية وعقلية بقوة 8 ريختر حتى انتهينا إلى يومنا هذا وأنا أُبقي على سلامة بعض قواي العقلية بأعجوبة.. 8 أشهر مرت كسلحفاة نائمة متثاقلة تعاني تورما في الساق وخشونة في الركبة وزوائد جلدية ودوال، عرجاء.. كانت من أكثر الشهور التي اختبرت فيها مدى قدرتي على التحمل والصبر أو بالأحرى قدرتي على مواجهة الاكتئاب والبؤس.. فقد كنت أعاني بحق..

وحتى لا يتعجل أحد ويبادرني بنظرة من تلك التي تقول «معاكي فلوس تفتحي عيادة وبتقولي معاناة.. شكلك مش من البلد دي».. فأوضح

أن والدي حفظه الله وبعد أن سئم مـن العمـل في إحـدى الـدول الخليجيـة، أخذه اشتياق كبير للوطن على أن يستقر في مصرنا الحبيبـة فقـرر متابعـة عمله بافتتاح عيادة لطب الأسنان ليعمل بها هـو وأخـي الـذي مـا هـي إلا شهور قليلة وينهي سنة الامتياز بكلية طب الأسنان.. أمـا عـن تـساؤلكم بعلاقتي بهذا كله فإنها قصة مأساوية أرصدها لكم فيما يلي..

أعوذ بالله من ساس يسوس

«السياسة ليست مهنة سيئة على الإطلاق، فلو نجحت هناك الكثير من المكافآت ولو فشلت – وهو غالبا ما يحدث – يمكنك أن تؤلف كتابا»

رونالد ريغان

حقيقة الأمر أنه لم يمض على تخرجي من الجامعة إلا 3 أشهر وبضعة أيام، وبعد تخرجي من الجامعة من قسم العلوم السياسية بتقدير امتياز مع مرتبة الشرف – ومع الأخذ في الاعتبار أني على رأس ترتيب الدفعة – انتظرت طويلا أن يأتيني خبر التعيين في الجامعة إلا أنه لم يحدث..

نوبات من الإحباط تتوالى عليَّ كلما مر يوم دون أن يأتي ذلك الخبر الذي تنفجر بفعله أساريري حتى يتاح لأبي رؤية ضرس العقل من على بُعد وتشخيصه أيضا.. لا يهم إن أقسم بعدها أن أتردد عليه بعد

افتتاح العيادة لجلسات متعاقبة ليصلح الأنفاق والجسور التي في فمي «علشان معورهوش» كما يقول.. لا يهم.. لا يهم إن وجدت أخي وقد استغل الوضع بوضعه إحدى تلك الأدوات المخيفة التي يختبرها على مرضاه في فمي لا يهم.. المهم أن تنفرج أساريري بفعل خبر التعيين الذي أترقبه باستماتة..

وحين أيقنت أن الانتظار قد يطول، ربما إلى الأبد، بدأت أفكر في أن أحصل على درجة الماجستير لكن هذا القرار كان سيدخل نطاق التفعيل في السنة القادمة فمهلة التقديم لدراسة الماجستير لهذا العام قد انتهت.. فقررت.. ويا ليتني لم أفعل..قررت – نادمة فيما بعد – أن أساعد أبي في تجهيز العيادة.. وأن لا أطيل جلوسي بالبيت لأكثر من ذلك، خاصة أن حجمي صار أقرب للدولاب منه للآدميين من فرط الاكتئاب الذي يأتي تباعا له الأكل بشراهة دب قطبي لم يأكل منذ عقود بالإضافة إلى التلفاز الذي كلما تابعته أكثر أحسست بانخفاض معدلات الذكاء لدي..

رحب أبي كثيرا بـ«المساعدة» فهو يحتاج لكل يد قادرة على حمل السلاح كما أنه يعلم تماما أن السياسة – التي أصبحت أستعيذ بالله منها – ليست مجال إبداعي الوحيد فدراستي للسياسة تنطوي على دراسة الكثير من الاقتصاد والإدارة والتسويق وقليل من المحاسبة بالإضافة إلى أنني

أمتلك رؤية فنية واسعة وحسا ابتكاريا عاليا.. وقد وعدني أبي أنه مكافأة لجهودي معه في «توضيب» العيادة سيوفر لي عملا لديه «كريسبشنيست» أي «كموظف استقبال»؟! قلبي لا يحتمل المزيد من الإهانات.. فأنا لم أتخلص بعد من التوابع النفسية لعدم تعييني في الجامعة وأبي يكافئني بالعمل كموظفة استقبال لديه.. أربع سنوات من دراسة السياسة بتفوق دراسي يشهد له الجميع ثم ينتهي الأمر بي «كريسبشنيست»؟

بدأت علامات التعجب والاستنكار حول عملي «كموظفة استقبال» تختفي تدريجيا مع الأيام.. فلم يكن لي خيار آخر وقتها.. إضافة إلى أنه علي أن أشرع في مساعدة أبي بجهد ودأب لعلي أستحق منصب «السكرتارية».. فأنا لا أرغب أن تفوتني هذه أيضا.. أجل لا أرغب بذلك.. فـ15 عاما من الانتظام المدرسي وأربع سنوات من الدراسة الجامعية وغيرها من الكورسات والدروس.. والمهنة «سكرتارية».. أجل.. فبطالتي تسمح بذلك..

عمارة «برج 3»

«في الغرب: الإبداع هو أن تصنع ما يستفيد منه الآخرون، في مصر: الإبداع هو أن تصنع ما يعجز عن فهمه الآخرون».

اللي بنى مصر كان في الأصل حلواني،، بينما «اللي بنى العمارة اللي فيها العيادة كان في الأصل سمكري أو سباك» أو على أعلى تقدير نقاش مع التقدير للجميع، ذلك أن الأمر لا يحتاج أبدا لخمس سنوات من دراسة الهندسة لتدرك أن المبنى مخطط بغباء مع مرتبة الشرف، كم الهدر والعشوائية في تخطيط المساحة تفوق الوصف ولو كان تعمد المهندس - الذي علمت فيما بعد أنه مهندس مصري يعمل لدى شركة عقار أمريكية تستثمر في مصر - فلو كان مهندسها ذلك تعمد إخراج المبنى بهذا الشكل العشوائي ما استطاع.. فأنت لا تستطيع الجزم بأن المبنى كان على هيئه مربع أو مستطيل أو مثلث أو دائري أو حتى متوازي أضلاع أو شبه منحرف إنه حتى لا يحمل شكلا من تلك المعتاد لنا رؤيتها ولا حتى

حرف «U» أو «v» أو أي من الحروف الإنجليزية أو العربية أو العبرية أو حتى الهيروغليفية.. أقرب توصيف لتخطيط المبنى أن تقول إن له شكلا يشبه أحد الأحرف الصينية أو اليابانية وإن كانت تلك الحروف لها معنى في لغة أهلها بينما المبنى لا معنى ولا شكل ولا رائحة له.. عفوا أتراجع بخصوص ما قلته عن الرائحة فالروائح هنا لها طعم خاص.. نعم ليست كناية أو مبالغة إنها حقيقة، الروائح هنا لها طعم خاص جدا لا أدري ما الأساس العلمي لما يحدث ولكن متى تحدثت أو فتحت فمك وأنت في هذا المبنى لا بد أن تشعر بفتات مواد لا تعرف ماهيتها تدخل إلى فمك مع الهواء لا تملك أن تفعل لها شيئا إلا الدعاء بأنها ليست كائنات ناقلة للعدوى.. ولو أنك نظرت في وجوه الناس المغادرة والقادمة من وإلى العمارة لرأيت الإحساس بالاشمئزاز يعتريهم جميعا داعين الله أن تكون فتات المواد تلك لا يصل ضررها لأكثر من تلبك بالأمعاء.. هذا عن الجزء الملموس أو المحسوس من الهواء إن صح التعبير، أما عن أصناف الروائح وأشكالها فإنه لا بد من كتاب آخر لوصفها، ولا تقلقوا سأنعم عليكم بوصف لبعض من هذه الروائح لأنها كانت طورا مهم من أطوار المعاناة في أشهر تجهيز العيادة، لكن ربما في وقت لاحق من هذا الكتاب..

نعود للبناء غير مفهوم الشكل والمعنى.. لهذا البناء أكثر من 12

مدخلا جميعها في النهاية تقود إلى سلمين لا أكثر، أحدهما يكفي لأن يستعمله انسنتر التعليمي الذي بالطابق الأول لإعطاء الدروس فيه للطلبة دون أن ينغص على أحد مسيره على السلم، بينما السلم الثاني حذارِ أن تصعد مع أحدهم في الوقت نفسه فتحشران سويا دون أمل في أن ينقذكما أحد من هذا الموقف لأنه لن يتسع لثالث بالتأكيد..

دعني أؤكد لك أنه ما من شقة أو مكتب في هذا المبنى له نفس تخطيط الآخر، فلا تتوقع أبدا أن يكون الحمام فوق الحمام أو المطبخ فوق المطبخ، فقد تجد غرف النوم تحت حمام الشقة التي تعلوك، فلا تتعجب أبدا لو وجدت سقف غرفتك «منشع».. كنت لأقول بأنها عبقرية هندسة حيث أعتقد أنه بذلك كسر قواعد هندسية كثيرة وعمل على ابتكارات جديدة في فن الهندسة، إلا أن المياه «الطافحة» دائما و«المَنوَر اللي في وسط الصالون»، وغرفة النوم التي لا تصلح إلا لو وضع سرير واحد دون الدولاب حتى، في حين أن الحمام باتساع كاف لأن تؤجره البرازيل لإقامة نهائي كأس العالم **2014**، كلها أشياء جعلتني أُجزم بأن المهندس لم يحصل على دبلوم صنايع حتى.. وتأكدت من ذلك حين علمت أن المبنى جاءه قرار إزالة من **6** سنوات أي بعد إنشائه بسنتين فقط..

أذكر لكم أنه في أحد أيام عملنا هناك، اصطدمت إحدى الدراجات

النارية التي كانت تسير أمام العمارة بأحد أعمدة البناء الرئيسية، فأحدثت ضررا فيه نتج عنه حفرة كبيرة في ذلك العمود لو أنك نظرت خلالها لعلمت أن العمود مجوف تماما من الداخل.. ما جعل كتيب الأدعية اليومية لا يفارقني أبدا حال دخولي البناء..

حارس العمارة عم عبده لا يختلف كثيرا في التوصيف عن العمارة نفسها فهو غريب الطباع لا تلتفت إلا وتراه حولك.. لو أننا ذهبنا صباحا نجده.. مساء نجده.. قبيل الفجر نجده.. كنت دائما ما أعتبر النوم ضرورة حيوية للإنسان حتى رأيت عم عبده.. إلا أنه ولسبب ما يختفي تماما يومي الخميس والجمعة.. دائما ما يسير وفي حزامه سلسلة من المفاتيح تحتوي على العشرات منها.. ووقت اللزوم تكون هذه السلسلة في يده مع انتقائه أحد مفاتيحها لتنظيف أسنانه أو أذنه أو أنفه أحيانا متى ما ألحت عليه أعضاؤه تلك، فهي مفاتيح لكافة الاستعمالات.. عريض المنكبين قصير القامة.. إلا أنه والحق يقال «جدع» و«خدوم».. كما أنه حارس عمارة «ستايل» لا تراه إلا بالجينز والتي شيرت وحذاء رياضي لإحدى الماركات المعروفة.. لكن ذلك لا يمنع أنه دائما ما يحصل على الخدمات مجانا من أصحاب العقارات المؤجرة للتشغيل.. فهو ضيف دائما على الإفطار والغداء والعشاء عند المطعم الذي بالأسفل ببلاش.. ويلعب

الـ«بلاي ستيشن» عند ذلك المقهى ببلاش أيضا.. وعند ذلك الحلاق لا يدفع شيئا.. فهو «أهل بيت» في أي مكان في العمارة قد تطأه قدماه..

أقـرب مـدخل يـؤدي للعيـادة تتوسـطه بلاعـة صـرف صـحي «أو مجاري بالبلدي» دائمة الطفح.. فما عدنا نلقي لها بالا فما أن تصلح حتـى تعود للطفح مرة أخرى.. كما أننا لم يعد يمكننا أن نتخلى عن رياضة قفـز الحواجز الصرفية الطافحة فقد اعتدنا عليها.. هـذا المـدخل يـشاركنا فيـه مطعم للمأكولات الشعبية.. يكفي أن أخبركم أن هـذا المـدخل تحديـدا مـن النوع الذي يضطرك لأن تستعمل غيره في حال أردت أن تفـرش شـقتك لأن العفش «اللي هو كرسيين ومكتب ووحـدة عـلاج الأسـنان» لـيس أكثـر لـن تستطيع إدخاله من هذا المدخل الضيق.. أما عن المطعم فهو قصة أخرى، أو إن صح التعبير عذاب آخر..

أرصدة القوة

«إذا كنت سأعيش من أجل الآخرين إذن فمن أجل ماذا يعيش هؤلاء الآخرون».

أسوأ ما قد يبتلى به صاحب عمل أن يجاوره مطعم كذلك الذي بالأسفل.. فمفهوم النظافة منزوع من قاموسه اللغوي.. تشعر كأنهم يتعمدون أن يكون المطعم بهذا السوء وبقلة النظافة تلك ليتزايد الإقبال عليه ممن هم من الطبقات الشعبية.. لن أقول لكم إن طعامه ملوث.. فالهواء الذي يحيط بالمطعم ويتخلله نفسه ملوث، فما بالك بطعامهم..

مخزن ذلك المطعم في الشقة التي تعلوه مباشرة.. وإذ لا يوجد سلم داخلي بين الشقة والمطعم فإنه يضطر لاستخدام سلم العمارة الرئيسي متى ما أرادوا أخذ شيء من وإلى المخزن.. فتجد بالدوام العاملين بالمطعم يصعدون «بجرادل» فارغة وينزلون «بجرادل» ملأى.. والعكس صحيح..

ليت الأمر يقف عند هذا الحد فمتى ما كان المنقول في تلك الجرادل لحوما أو دواجن فإنك ستعلم ذلك بالتأكيد من آثار الدماء وفضلات الأمعاء التي تلطخ السلم هنا وهناك..، كأن المدخل كان ينقصه ذلك..

وذات يوم كنا نعمل صباحا كدأبنا في «توضيب» العيادة ما بين إشراف أبي وأخي على عمل «الصنايعية» الذي لا ينتهي وما بين ترتيبي بعض المستلزمات في إحدى الغرف..

وسط هذه المعمعة إذا بي أسمع هتافات تتعالى، ظننتها في البداية صادرة من تلفاز أحدهم في المقاهي المجاورة.. إذ كانت هتافات تتناسب مع أجواء الاعتصامات الفئوية التي انفجرت في البلاد وتغطيها إحدى الفضائيات.. ولكن الهتافات تتعالى حتى استقرت تحت شباك العيادة تماما «خير اللهم اجعله خير» انطلقت إلى الشباك فرأيت تجمهرا كبيرا ممن تضفهم «الجزيرة» بالملايين و«العربية» بالآلاف بينما «يحلف التلفزيون المصري» أن ما هم إلا فئة ضالة لا تتجاوز الأنفار.. رأيتهم أسفل الشباك وهم يهتفون «الشعب يريد تغيير المدير»، «يعني إيه يعني إيه تبقى الطبخة بـ5 جنيه».. قليل مما تبقى من وعيي كان كافيا لأن أدرك أنهم عمال المطعم أسفلنا وطباخوه وقد فاضت بهم سياسات المدير وأساليبه..

لا أخفيكم سرا كان قلبي يرقص طربا.. فالمعاناة واحدة.. كما أنـي ما زلت لم أغفر للمعلم سامي (مدير المطعم) ما فعله حين جاء يبارك لأبـي بدء أعمال تجهيز العيادة، وكنت وقتها قد جلبت مشروع تخرجـي معـي من المنزل حتى أقلبه في دقائق استراحتي من العمل لعلـه يعيـد لـي بعـضا من أيام مجدي.. رآه عـم سـامي ملقـى في إحـدى الزوايـا فاسـتأذن أبـي أن يتصفحه وما هي إلا أيام لأدرك أن أوراق المشروع يلف بـها «المقالي» في ذلك المطعم القميء..

تابعت المشهد التظاهري بكثير من الرضا والسرور.. لكـنهم مـا إن أغلقوا بتجمهرهم مدخل البناء بدأت عمليات حـساب أرصـدة القـوة تقفـز أمامي.. وأرصدة القوة هو تعبير سياسي لا يحتـاج إلى كـثير مـن التفـسير لتعرف أنه يدل على رصيد الدول ومراكز ثِقَلِها والذي يـؤثر علـى ميـزان قوتها الإقليمي وخلافه من الهرطقات السياسية التي ستجد نفسك تفهمها جيدا لولا أن علماء السياسة لا بد أن يتفلسفوا عليـك في تعريفهـا.. ووفقـا لهذا المفهوم وجدت أنه على الرغم من أن ذلك المطعم كالصداع في الرأس إلا أنه أحد الأسباب الرئيسية في إحياء هذه الزاوية مـن البنـاء، فهـو مطعـم للأكلات الشعبية التي تستهوي بطون الـشعب المـصري أجمـع.. وبالتـالي فإن أي زعزعة لاستقرار هذا المطعم قد يعود بالسلب على عيادتنا العزيـزة

حين يحين موعد بدء العمل فيها.. صحيح أنه وبسبب انعدام أبسط قواعد النظافة، قد يكون ذلك تهديدا لتطفيش بلد بأكملها لكن لا ضير، أرى السواد الأعظم يتعامل مع انعدام النظافة باعتيادية يحسدون عليها، فلقد أثبتنا على جميع الأصعدة أن مسألة النظافة في مجتمعنا ما هي إلا كماليات للمرفهين اقتصاديا لا أكثر..

وما هي إلا ثوان وقد وجدت نفسي أتحرك وسط الهتافات، فالفضول المشتعل في قلبي يحتم علي تقصي الأمر لمعرفة سبب كل هذه الجلبة، فالهتافات لا أستوضح منها الكثير.. أجد نفسي التفت يمينا ويسارا أبحث عن أحد يشبع فضولي، أرى بجواري حاجا سبعينيا.. لم أنتظر إلا أعشار الثانية وإذا بي أسأله ذلك السؤال التقليدي:

- هو في إيه يا فندم؟؟ إنتو واقفين هنا ليه؟

- الراجل ابن الـ..؟ (حذف للرقابة وليس للامتناع).

- أيوه أنا عارفة والله، حسبي الله ونعم الوكيل فيه، بس هو عمل إيه تاني؟

- الشغل في المطعم ده كرب.. آه والله يا «مدام» (مدام؟ كان في حالة من التعاسة يرثى لها لم تكن تسمح لي بتصحيح هذه المعلومة).

- طب ما هوا كرب من زمان.. (لم أكن أحاول أن أتضامن معه مجاملة، ولكن بمجرد النظر للأوضاع التي يعملون فيها ستعي أن الأسوأ قد عانوه فعلا منذ زمن)..

- بس خلاص بقى فاض بينا.. ده حتى البقشيش بقى بياخده مننا واحنا اللي مبنحصلش 800 جنيه في الشهر (هنا قد تذكرت الـ400 جنيه اللي وعدني أبويا بيهم لما يشغلني سكرتارية.. هنا فقط أصبحت في تعاستي أسوأ منه حالا)..

- أممممم، أيوه بس انتو مزودينها الصراحة مش وقته يعني.. (لم تكن هذه نابعة من حسابات أرصدة القوة التي تجبرني على مناصرة مدير المطعم فقط، ولكنها كانت نابعة من إحساسي بالمرارة بعدما علمت أنه من ذوي الدخول المنخفضة بينما أنا من معدومي الدخل).

- مش وقته ازاي ده احنا خلاص بقينا بنتكلم.. وبعدين كمان مينفعش الوضع اللي احنا بنشتغل فيه شايفه ده شايفه.. طب بصي على المنظر ده (قالها وهو يؤشر لي يمينا ويسارا على مواضع القمامة في استياء منه على انعدام النظافة بسبب سوء حالة المطعم الذي لا يرغب «المعلم» في الإنفاق على تجديده).. وهنا فقط ضربت بأرصدة القوة جميعها عرض الحائط، فلتذهب إلى الجحيم.. لا شيء يؤرقني فعلا إلا انعدام النظافة في

هذا المكان فإن كانت هتافاتهم ستقضي على ذلك. فلتكن..

- أيوه فعلا عندك حق النظافة أولا.. طب قولي كده لو حد فيكو جتله بلوى من الزبالة اللي فكل حتة دي هتعملوا إيه..المعلم بتاعكو ده ولا حتى هيسأل فيكو..

أومأ برأسه أن نعم..

بدأت أشحذ همتي جيدا، فلا بد أن يقتنع بمسألة النظافة ويضعها في أولى اهتماماته.. ولكني وجدت صوتا أجش ينادي من أعلى الشباك.. إنه أحد العاملين على «التبييض»:

- يا «آنسة» تعالي بس عايزينك في حاجة (ادعيت عدم سماعه، لعلها تصل إلى مسامع الحاج بجواري حين يعيدها مرة أخرى).

- إيه؟؟ حضرتك عايز إيه؟؟

- تعالي حضرتك عايزين نسألك حاجة كده (تبا وسحقا ويا إلهي وغيرها من المفردات المشابهة فقد أسقط الرجل الكلمة المرادة عينها وهو ما دعاني لتلبية ندائه بسخط مضاعف).

وإحقاقا للحق، مرت أيام رأيت فيها تحسنا ملحوظا في وضع المطعم الصحي وكان لها وقع عظيم في نفسي فعندما ننوي التغيير ونسعى

له فإنه يحدث، مما جعلني أتأكد من أن الإرادة الإنسانية لها مفعول ساحر.. إنها الإرادة التي جعلت من طه حسين كاتبا ومن غاندي زعيما.. أجل إنها الإرادة الإنسانية التي لولاها ما عاشت هيلين كلير وما كانت لتكون أوبرا وينفري.. أما هذه المرة فالإرادة الإنسانية مصرية بامتياز.. نعم إنها الإرادة الإنسانية التي صمدت لأيام معدودة ليعود المطعم مرة أخرى.. منعدم النظافة.. كسابق عهده..

مصباح إبداعي.. محروق

«أطلق لإبداعك العنان فأسوأ ما قد تحصل عليه هو كارثة سيتجنبها غيرك بالتأكيد».

أعملت يدي في جهاز التحكم وجعلت أقلب في القنوات التلفزيونية التي يصعب علي استيعاب وجود هذا الكم المخيف منها دون وجود برنامج واحد يصلح للمشاهدة.. وحتى ما أسميها ببرامج النميمة أو «الجوسيب» صرت أملّها جدا.. فلم يعد هناك من تلك الأخبار التافهة ما لم أتابعه بعد.. وهكذا حتى استوقفني أخيرا (لا ليس برنامجا هادفا عزيزي القارئ) ولكن ما استوقفني هو تقرير على إحدى القنوات عن فن الرسم التشكيلي.. لم أر شيئا مبهما ومملا كهذا في حياتي.. إلا أنه نجح في إشعال مصباح الإبداع لدي، وبدوري أطلقت له العنان.. وبما أن بطالتي تسمح.. قررت أن أبدأ بتنفيذ صور ولوحات لكي يضعها أبي على جدران العيادة الصماء.. وحيث كان يعرض التقرير أجمل إبداعات الفنان الفرنسي الشهير (بول سيزان) التي لم تخرج في نظري عن كونها خطوطا

عشوائية لشخص يعاني من اضطراب نفسي حاد، وجدت أنه بإمكاني القيام بما هو أفضل بكثير.. مما بث الثقة في نفسي وحملني على أن أبدأ فورا دون إبطاء..

أغلقت التلفاز أخيرا بعد أن حصلت على جرعتي اليومية من البلاهة وتضييع الوقت وانشغلت عن ذلك بالتخطيط للوحاتي الإبداعية التي بغيت أن تكون سترا للجدران المتعرية تماما كما سلمتنا إياها الشركة.. أيضا لا مانع من تقليل التكاليف على والدي العزيز فآخر ما يمكن أن يشغل تفكير أبي الآن هو كيفية تزيين الجدران ناصعة البياض فنحن لم ننته بعد من الأساسيات حتى.. كما أن الصنايعية قد أجهزوا على ما تبقى من صبر لدى والدي، بالإضافة لانشغاله في الكثير من الأمور الأخرى..

تفحصت الشبكة العنكبوتية «اللهلوبة على رأي ماما» التي ما أن تنتابك الحيرة في أمر ما.. ما عليك إلا أن تتفحص صفحاتها فتجد مبتغاك وضالتك.. وقد كانت ضالتي في بعض الأفكار التي ربما تساعدني في لوحاتي وكيفية صنعها يدويا (لا حرج عزيزي القارئ في أن تقتبس قليلا من الأفكار وتنسبها إليك ليس في ذلك سرقة أو اختلاس أو دناءة لا سمح الله).. انتهى التصفح على الشبكة اللهلوباتية بقائمة من الطلبات كتبتها لأخي العزيز ليأتيني بمحتوياتها من أقرب قرطاسية كبيرة أو مول تجاري.. ولا داعي

لأخبركم أن شراء المتطلبات لا تتم بهذه السهولة إنما بكثير من الصراخ والصراع أحيانا والاستجداء والتحايل أحيانا أخرى، وربما اضطررت في النهاية لأن أدفع رشوة من الحلوى الفاخرة ليأتيني أخي بالطلبات سريعا.. وسريعا أقصد بها من 3 إلى 4 أيام على أقل تقدير..

أصبحت الأدوات بين يدي بعد جهد جهيد ولم يتبق إلا أن أحشد همتي الفنية مع ابتلاع قرصي أسبرين لعل الصداع الذي تسبب به أخي ينتهي فقد كان شراؤه للأدوات الفنية متبوعا بكثير من «علشان بس تعرفي».. «دا أنا نزلت وهزيت طولي واتكرمت».. «ده كرم أخلاق مني على فكرة بس محدش بيقدر»..

ساعات من الجهد والعصف الفني.. أنتقل من لوحة لأخرى في خفة أحسد عليها «لا تتناسب مع الأرطال التي اكتسبتها مؤخرا» فأضع لمسة في هذه اللوحة وأتبعها بلمسة في تلك.. ثم أنتقل إلى لون آخر وأطير إلى أول لوحة لأضع بها لمسة خاصة في مشهد حالم ينقصه فقط إحدى مقطوعات بتهوفن في الخلفية لتضفي على المشهد دفئا وحميمية..

أيام معدودة مضت حتى انتهيت من لوحات الفنية، فأخذتها وأنا أتمشى في خيلاء ليطلع عليها أفراد العائلة الكرام.. لن أحدثكم عن ردود أفعالهم.. أنا حقا أعجز عن التعبير.. فأبي قد أصيب فجأة باختناق غير

معلوم السبب (ما أنا برضو مكنش لازم أوريه الصور وهو بيشرب)..
وأمي رمقتني بنظرة لم أفهم مغزاها إلا حين تبعتها بـ«أظن خليكي في السياسة أحسن صحيح ما بتفهميش فيها هيا كمان بس أهو بتجيبي منها تقدير».. ثم نظرت إلى أخي أستجدي تعاطفه.. فوجدت نظرات الاشمئزاز على وجهه تبعها قائلا: «بقى ده اللي طلع منك بعد ما نزلتيني أجبلك حاجات بـ243 جنيه»..

ـ «ايييييييييييه 243 جنيه؟؟ ده دول مرتبي في شهر يا بت؟؟!!».. كانت تلك صادرة من أختي الكبيرة وبذلك أكون قد قضيت على آخر أمل لي بتعاطف أحدهم معي، خاصة أنه في اليوم السابق بينما كنت أتسوق أنا وأختي وجدنا صورا وبراويز «بـ10 جنيهات» على واجهة محل من تلك التي تبيع أي شيء «بـ2.5» يمكن وصفها بأنها على أقل تقدير أفضل من تلك التي صنعت.. هنا فقط بدأت أنظر للوحات (بول سيزان) بنوع من التفهم.. فاعتزلت الفن نهائيا.. وأمسيت أنتظر شيئا آخر أشغل به بطالتي..

بطولات ورقية

«أنا وإن كنت الأخير زمانه.. لآتٍ على الدائري وربنا يستر».

من المضني لأحدنا سرد ما يستوفي بدقة انتصارات وتحديات مصر وأهلها منذ فجر التاريخ.. فهي تمتد على مدي أكثر من 7 آلاف عام.. هي كثيرة وطويلة وملحمية.. تماما كبطولات الرجال على مدار حياتهم إلا أنهم لا يجدون مشقة في سردها وتكرارها مرارا.. حيث إنها من وحي خيال المؤلف..

فلا تخلو أبدا ذكريات أحد الرجال من البطولات التي قام بها في صغره والتي لولا ذلك العائق البسيط أو تلك الحادثة الصغيرة لأضحى من المشاهير وذوي المقام الرفيع.. فالرجل غالبا لاعب كرة لم تلد الملاعب مثله لولا الدراسة وحرصه على طلب العلم التي بالمناسبة لم يبرع فيها هي الأخرى.. وقد شهد في تجنيده كثيرا من التقشف والجلَد والبطولات ما لم يشهده محاربي أكتوبر.. وهو أستاذ جامعي في أعرق الجامعات لولا وجود

ابن فلان الدكتور زميلا لـه في نفس الدفعـة ولم أجـد حقيقـة مـا يقـنعني بوجوب وجود ابن الدكتور في كل دفعة في كل جامعة فيكي يـا مـصر، وإلا كان الـدكاترة الجـامعيون هـم المتـسببون الأسـاسيون في الزيـادة الـسكانية المتفجرة في البلاد..

كل ما سبق مـن البطـولات المنـسوجة مـن وحـي خيـال كـل رجـل وجدتها متجمعة في أسطى فتحي.. وهو النقاش الـذي كـان أبـي قـد كلفـه بالعمل في العيادة.. كان أبي قد سافر في أمر عاجل للإسكندرية وتركني أنا وأخي وحدنا نواجـه أمراض أسطى فتحـي النفـسية.. فهـو رجـل عـصامي بنى نفسه بنفسه واعتمد على نفسه وحدها، واستأجر محلا خاصا لمسايرة أعماله.. وبعد أن أمضى سنوات في هذا المحل وفتح الله عليه رفض صاحب المحل تجديد الإيجار له، واستغل السمعة التي كلفت أسطى فتحي جهدا جهيدا والتي لولا ذلك الحادث لكـان الآن يمتلـك أنجـح عمـل علـى وجـه البسيطة، وزاول ذلك «الجحش» كما يسميه عم فتحي العمل نفسه بـنفس الاسم والكيان.. فأسطى فتحي لا يتعلم من أخطائه فقد لدغ سابقا من نفس الجحر عندما كـان زعـيم الـشلة المدرسـية.. وقَـرَّب إليـه أحـدهم ويـدعى «عضمة» وكان له كالأخ الكبير الذي وقف بجواره في مواجهة «عنتيرة» إلا أن «عضمة» استغل طيبه أسطى فتحي واستحوذ على الشلة وأبعده عنهـا..

لا أدري ما وجه الشبه الذي يراه أسطى فتحي بين الموقفين ولكن ليست تلك المشكلة الوحيدة التي يعانيها أسطى فتحي فلديه من الأمراض المستعصية ما يدون بسجلاااااات..

- «حد يصاحب حد اسمه عضمة».. كانت هذه صادرة مني تعقيبا على حديث أسطى فتحي، فرأيت نظرة امتعاض منه وكأنه يعاتبني على إغفالي للمغزى الحقيقي من الحكاية..اعذرني يا أسطى فتحي فنحو الساعتين ونصف الساعة من «حكاوي» لا تخرج عن نطاق كفاحك في حياتك الافتراضية التي كانت لتكون لولا بعض أشياء التي ما كان يجب لها أن تحدث، ليس لك بعد ذلك أن تتوقع مني الكثير من الاهتمام..

أسطى فتحي لا يتوقف.. يعود فيلقي علي كيف كان المعلم يضطهده في الإعدادية.. فزملاؤه يحبونه وبشدة وهو ما يجعلهم يأتمرون بأمره وينقادون بتعليماته هو فقط ولا يلقون بالا لمدرسهم وما يطلبه منهم وهو ما كلفه إعادة السنة الأخيرة من الابتدائية أكثر من مرة على الرغم من اجتهاده.. الآن فقط عرفت أن هناك ما هو أسوأ من البطالة.. وهو أن يبتليك الله بمثل أسطى فتحي ليشغل لك بطالتك..

مغامرات بائسة

«الحياة إما مغامرة مثيرة أو لا شيء».

هيلين كلير

دائما ما أجد الإلهام الذي تفتقده حياتي في قصص الكفاح التي يصوغها الآخرون في حياتهم سواء كانوا من مشاهير أو غيرهم ممن أتعامل معهم في حياتي اليومية.. فحياة بلا كفاح هي حياة بائسة.. تماما كحياتي التي أعيشها الآن.. هيلين كلير هي إحدى تلك الشخصيات التي تركت قصتها في نفسي عظيم الأثر.. فكفاحها يستحق الإعجاب والاقتداء.. ولها مقولة ذات وقع عجيب على قلبي إذ تقول: «الحياة إما مغامرة مثيرة.. أو لا شيء».. وقد سعيت في أغلب خطوات حياتي مذ قرأت تلك المقولة أن تكون الحياة فعلا مغامرة ممتعة.. إلا أني أيقنت وبكل تأكيد أن هيلين لم تمر بمغامرة مثل مغامرة توضيب عيادة أو شقة أو حتى محل متر في متر في مصر، وإلا كانت قد تراجعت على الفور عن

قولها، مغيرة فكرتها تماما عن مفهوم المغامرة في الحياة.. فالمغامرة في مصر لها شكل آخر.. كل شيء في مصر له طعم مختلف.. حتى الهواء نفسه يا عزيزي.. في مصر له طعم مختلف..

يوم في البيت نستريح فيه لعلنا نستعيد فيه نشاطنا.. فالأيام الماضية كان العمل فيها مضنيا جدا.. وعلى غير العادة.. هاتف أحد عمال «الالوميتال» أبي، فهو يريد أن ينهي عملا بدأه منذ يومين بما أنه يعمل الآن في نفس الشارع الذي تقبع فيه العيادة.. كاد أبي أن يصرفه ويتفق معه على يوم آخر إلا أني أشرت لأبي أن دعنا نذهب لا ضير فلننته من ذلك الشيء.. لا وقت للراحة فالحياة إما مغامرة مثيرة أو لا شيء.. ذكّرني أبي ونحن في طريقنا للعيادة أننا قد أجلنا نقل العفش لأننا لن نعمل اليوم وبما أننا ذاهبون إلى هناك لم لا ننتهي من هذا العمل أيضا.. ولكن ينبغي لأحد غير أبي أن يقوم بتلك المهمة.. وحيث إن أبي وأخي كليهما لديهما أعمال كثيرة تبرعت أنا بالذهاب مع عمي لنقل العفش.. وندمت على هذا القرار فيما بعد عندما رأيت سيارة عمي تتجه نحو طريق مصر – إسكندرية الصحراوي.. فأبي أسقط (لا أدري سهوا أو عن عمد) التفصيلة الخاصة بأن العفش كان قد أرسله ليخزن في شقتنا بالإسكندرية.. لا عجب أن أخي رفض الذهاب بشدة.. يبدو أنه كان على

علم بالأمر.. نحو 12 ساعة استغرقناها لقضاء هـذا المـشوار.. لا داعـي أن أذكر لكم أني عدت إلى المنزل منهكـة تماما كمـا لـو كنـت فـيلا اسـتوائيا ضخما أجبر علـى الـركض بـسرعة تـسعه حـصان مـسافة تتجـاوز العـشر كيلومترات.. فبالنسبة لكائن كسول خامل مثلي يعد ما حدث معـي اليـوم مغامرة كبير.. صحيح أنها كلفتني 75 جنيهـا دفعتهـا في مـراهم طبيـة لتزيل تشنجاتي العضلية في كل مكان بجسدي.. لكن ما المانع فالحيـاة إمـا مغامرة مثيرة أو لا شيء..

بجوارنـا مكتـب للمقـاولات يقـوم القـائمون عليـه بتجهيـزه هـو الآخر.. وما بين تجهيزات المكتب وتجهيز العيادة والتجديدات في شـركة السفريات أمامنا.. يكفي أن تجلس في الطابق لبـضع سـاعات حتـى تـصاب رسميا بالصرع يأتي تباعـا لـه الـصمم التـام.. لكـن هكـذا الحيـاة مغـامرة مثيرة..

تأتي شابة في مثل عمري تسألني أن أسمح لهم أن يـستخدموا أحـد كابلات الكهرباء الخاصـة بنـا.. نظـرت لهـا بفـزع فلـم أفهـم مقـصدها.. طمأنتني أن ذلك لن يـضر بالإضـاءة بالعيـادة هـم فقـط سيـستعينون بأحـد الكابلات الخاصة بنا لثوان معدودة لـ.. حاولت مرارا وتكرارا أن تفهمني مـا هـم بـصدد فعلـه بالـضبط ولكـني لا أسـتوعب تلـك الفنيـات التقنيـة

الدقيقة.. رأيت أنه من المخزي أن أخذلها بعد وقوفها هناك لدقائق فأعطيتها موافقتي.. تلفتت عائدة لمكتبها وأنا أردد في نفسي يا للمسكينة لا بد أنها لا تجد عملا آخر تفعله مثلي لا بد أن بطالتها هي الأخرى تسمح لها بالوقوف وسط هذا الجو السقيم..

أتت لتشكرني على خدمتي العظيمة والتي نبهتني أنها لم تؤثر على الإضاءة بالعيادة كما وعدتني.. لم تلتفت لتذهب بعد حتى اشتعل ماس كهربائي في مروحة السقف.. ثوان معدودة وكانت تلك المروحة تحترق.. أنظر إليها والشرر يتطاير من عيني.. أصدرت المروحة صوتا مفزعا اجتمع الجميع على أثره.. لم أتمالك أعصابي مع كل الضجيج حولي فصرخت في وجه الفتاة محملة إياها سبب ما يحدث وما هي إلا ثوان وانطفأت الكهرباء بالطابق كله.. وهو ما أثار غضب العاملين.. الجميع حانق.. أصبح التجمع حولنا كثيفا الكل يسأل عما يحدث بسخط واضح في نبرات الصوت التي تجزم معها أنك لو نطقت بحرف آخر ستكون عاقبتك وخيمة فلربما ينتهي بك الأمر وأنت معلق من ساقيك على أحد المسامير الكثيرة المنتشرة على جدران الحائط أو أن تلقى في أحد المشافي.. إلا أن الأمر لم ينته كذاك.. بل انتهى بنا إلى الذهاب إلى أقرب قسم للشرطة.. فالحرف الذي خشيت أن أنطق به صرخت به الفتاة بكل ما أوتيت من

قوة.. «انااااااااااااااا مااااااليييييششش دعووووه غوروااااااا عننننيـي بقى».. وما هي إلا ثوان واشتبكت الأيدي واختلطت بكمية لا بأس بها من اللعاب المتطاير من الحناجر الغاضبة واستمر الأمر حتى أصبح من بالطابق يقذفون بعضهم الـبعض بالمعـدات الخفيفـة.. فالمعـدات النـصف خفيفـة.. فقررنا الذهاب إلى قسم الشرطة لحـل الخـلاف قبـل أن يتحـول الأمـر إلى صراع بالمعدات الثقيلة..

سـيارات الـشركة الـسياحية مـستقرة بالأسـفل.. أخـذنا إحـداها وذهبنا جميعا لنفض المسألة في قسم الشرطة.. أنا بدوري سـعيدة للغايـة.. أشعر أن مغامرة ممتعة للغاية في الطريـق.. فجـأة أصـبح الـذهاب إلى قـسم الشرطة أشبه بجولة ترفيهية كل من بالعمارة يود مرافقتنا إلى هناك بعـد أن كان حتى المرور من جوار هذا القسم يمثل رعبـا وفزعـا فتجـد ضـربات قلبك في تزايد تلقـائي.. لكـن للثـورات أحكـام.. احتـشدنا بـداخل القـسم فقضينا على آخر مساحة فارغة يمكن لأحدهم أن يشغلها.. جميع مكاتـب القسم مشغولة.. أتمشى في القسم أحاول أن أشبع فضولي عما يـدور في هـذا البناء.. في أحد المكاتب في الزاوية يطلب الضباط ممـن أمامـه أن يـصف لـه التوك توك المسروق فيخبره أنـه أسـود مـن فـوق وأصـفر مـن تحـت؟؟!!؟ وشرطي آخر يحرر محضرا في محاولة قتل.. فالسيدة سكبت على زوجهـا

جالونين من البنزين إثر محاولة منه أن يشرح لها أنه قد بات ليلته عند الحاجة أمه وليس كما تعتقد هي..

انتظارنا يطول.. أرى من يبكي هناك فماله قد سرق منه بطريقة ما.. وآخرين مأساتهم تكمن في سرقة سياراتهم.. وحالتين جنائيتين.. و.. و.. بت أفكر أنها ليست مغامرة على الإطلاق.. إنها شقاء وبؤس.. أفضل حياتي الرتيبة على أن أرى كل هذا وذاك.. انتظارنا أصبح أكثر من المحتمل.. والحقيقة أنه مع كل دقيقة تمر نشعر بمدى سذاجتنا فما جئنا لنفصل فيه بيننا أشبه بلعب عيال مقارنة بالمآسي التي شهدناها هناك.. تردد بعضنا في البقاء أو العودة.. ما حسم الأمر أن حارس البناء عم عبده هاتفنا ليخبرنا أن الأوضاع بالبناء أصبحت على ما يرام وأن الكهرباء عادت لتعمل بكامل طاقتها.. فعدنا كما أتينا اللهم إلا ساعات مضت من الزمن لم نستفد منها بشيء.. أما أنا شخصيا فعدت بفكر مختلف عن نوع المغامرات التي أعيشها في حياتي.. وأيقنت أن بطالتي قد جعلت حياتي بائسة.. حتى مغامراتي.. بائسة هي الأخرى..

The Nothing Box

«إذا رأيت رجلا يفتح لزوجته باب السيارة فاعلم أن أحدهما جديد إما السيارة أو الزوجة».

للرجال عالمهم الخاص الذي يهربون إليه متى شاءوا قبل الزواج، ومتى ما تكرمت وسمحت زوجاتهم بعد الزواج وهو ما يعرف في علم النفس بـ«ذا نوثينج بوكس».. يستطيع الرجال بفضل «صندوق الفراغ» القابع في عقلهم اللاواعي هذا أن يذهب لعالمه الخاص به لا يوجد به أي شيء يدعو للتفكير، وهو ما يعتبر متنفسا مهما يلجأ إليه الرجل للتخلص من الضغوط. فقد أفضى عدد من علماء النفس إلى أن الرجال قد يمضون من الوقت ما قدره خمس دقائق دون التفكير بشيء إطلاقا، أغلب الظن أن الرجل حينها لا يدري أنه حقا لا يفكر بشيء وإلا أصبح وقتها يفكر بشيء، لا عليك عزيزي القارئ إن لم تفهم من الهلاوس السابقة شيئا فأغلب الظن أنك من الجنس اللطيف فالـ«نوثينج بوكس» هو ما لا

تستوعبه النساء إطلاقا لذلك يعتبرونه نوعا من أنواع الفراغ الذي لا طائل منه في حين إنها «معكوكة في المطبخ وبتجري ورا العيال».. فهي لا تستوعب أن هذه اللحظات القليلة قد توفر لها زوجا متوازنا أغلب فترات اليوم فتبادر بقطع متعته عليه بـ«خد الواد شوية»، «هات الطلبات دي من تحت يلا الأكلة على النار»، فتكون بفعلها ذلك كما لو أنها كانت في موقف يثير حنقها بشدة وأرادت أن تعبر عن مكنونات صدرها فهي لم تعد تحتمل أن تتكتم أكثر ويأتي أحدهم فيضع يده على فمها لإسكاتها..

ما سبق كان خلاصة ما تنبأت بوجوده خلال حديثي مع جيراننا أم أدهم وأبو أدهم أثناء محاولات أهل العمارة الإصلاح بينهما.. فأم أدهم لا ترى سببا لصمت زوجها المطبق وكأنه في عالم خاص بنفسه وأبو أدهم يرى أنها تكثر الكلام والثرثرة فيما يعنيها وما لا يعنيها.. أما أنا فلا يعنيني حقا مصير زواجهما مع إيماني بأننا لا نعيش لأنفسنا فقط بل لا بد أن نعود على محيطنا المجتمعي بقليل من الفائدة حتى، ولكن وسط مآسي «توضيب العيادة» كان صوتهم المزعج وصراخهم الدائم آخر ما ينقصني فعلا، غير أن باب شقتهم مجاور لباب العيادة تماما.. وإن كنت أتعجب من شكوى أم أدهم عن صمت زوجها الدائم فلم أره إلا دائم الشجار معها ولا أراها أيضا «معكوكة في شغل البيت» وإلا ما كانت لتجد

متسعا من الوقت للشجار.. وبالإضافة إلى ما سبق وتنبأت به من سبب الشجار بينهما إلا أني رأيت أن الأمر أعمق من ذلك أيضا.. فالأمر يتعدى كون أحدهما قليل الكلام والآخر ثرثار وإنما هناك جذور عميقة لتلك المشكلة..

اجتمع من بالطابق حول باب أم أدهم وأبو أدهم.. أتابع ما يحدث بشغف بينما أسمع قليلا من «يا جماعة مش كده عيب».. وبعضا من «اخزوا الشيطان واستغفروا ربنا».. وكثيرا من «هو فيه إيه؟؟ هه هه هو فيه إيه يا جماعة إيه اللي بيحصل؟؟».

لم تستطع أم أدهم التكتم أكثر.. نظرت إلى الجمع ووجهت لهم الكلام بعد أن يئست من زوجها فلا هو ولا هي يسمع أحدهما للآخر فقالت أم أدهم: أنا أطبخ وهو ياكل أنا أغسل وهو يوسخ أنا أكوي وهو يرمي..

أبو أدهم لا يلقي بالا لما تقوله زوجته فهو يعلم حق العلم أن جميع الرجال المتجمهرين كذلك يفعلون كما يفعل.. فلا يرى بذلك خدشا لكرامته أو رجولته..

ولكن بعد مرور دقائق أخرى.. لم يعد يستطيع الصمت على

صوتها العالي أمام هذا التجمهر فيرد: مهو يا ولية مين اللي بيجيب الأكل اللي بتطبخيه علشان تطفحيه إنتي وعيالك، ومين بيجيب اللبس اللي بتلبيسه انتي وعيالك..

أستغرب جدا لترديده «إنتي وعيالك» فأنا أعلم أنهما لم ينجبا إلا أدهم.. ولكن يبدو أنها «لازمة» في كل المشاجرات..

أم أدهم وكأنها لم تسمع شيئا مما قاله زوجها أو ربما هي لما تسمع بالفعل: ده أقصى معاونة ليه في البيت إن بس سيادته يرفع رجله وهو مأنتخ على الكنبة علشان أمسح تحتيهم..

أبو أدهم: هو إنتي بتسمي ده مسح ده تلييط يا ستي..

أم أدهم: هو ده اللي عندي أما كنش عاجبك قوم امسح انت.. حتى كلمة الشكر مش بتنطق بيها.. هو انت بتنطق من الأساس..

أبو أدهم: بعد الهدة 12 ساعة في الشغل عايزاني انطق إيه.. ويا ريت 12 ساعة وفيه تقدير ده الفلوس بتتسحب أول بأول.

أم أدهم وقد بدأت الدموع تترقق في عينيها: يا شيخ اقعد انت في البيت وخليني أنا اشتغل، مستقبلي اللي كان أبيض وانت وعيالك سودتهولي.. مين يعوضني عنه ها؟؟

بدأ الأمر يتحول لمسلسل عربي بامتياز وبدأت ألمس مواضع الألم الدفينة في قلب أم أدهم.. همس بعض الرجال في أذن أبو أدهم ليهدئ الأوضاع فالأمر أصبح معيبا جدا..

أبو أدهم في محاولة بائسة للتهدئة: خلاص يا جماعة حصل خير.. ما تزعليش خلاص.. خلينا نتكلم بعدين..

أم أدهم: لا هيبقى فيه لا قبلين ولا بعدين هو انت بتتكلم ولا بتتفاهم معايا في أي حاجة.. وتاخدني على جنب تسكتني وخلاص ولا كأني أسوى حاجة.. يا شيخ ده لو معزه كانوا عبروها.. (ألم أقل إنها كانت محاولة بائسة من زوجها).

أبو أدهم: إزاي ده انتي بركتنا يا حبيبتي..

أم أدهم: بلاش كلام الأفلام ده يخويا..

أبو أدهم: ما تتلمي بقى يا وليه عمال أصالح فيكي ما بتهديش..

أم أدهم: أهو اتفضلوا قبل حتى ما الكلمتين ينشفوا سحبهم تاني..

انتهى بي الأمر أن اقترحت على أبي حلا سديدا.. لا بد من فصل القوات في الحال.. أخذ أبي أبو أدهم فكلفه بالإشراف على بعض الأشياء

في العيادة وهو ما رحب به أبو أدهم جدا.. فهو لا يريد أن يمضي ما تبقى من يومه بالمنزل.. أما أنا وزميلة المهنة (ريسبشنيست أخرى لكنها بدأت بالفعل في مزاولة عملها في مكتب العقارات المجاور) أخذنا أم أدهم وأدخلناها منزلها وهي تبكي وتصرخ.. نشربها كوبا من المياه لعله يهدئ من انفعالها فلا يمنعها ذلك من الانفعال أكثر.. احتجنا مجهودا جبارا ووقتا ليس بالقليل لتعود مرة أخرى فتكون أقرب للآدمي لا ليس الطبيعي وإنما أقرب للآدمي الغاضب.. أما فيما قبل فقد كانت ثورا هائجا.. لم تبق ريهام زميلة المهنة كثيرا بعد ذلك فالعمل يتطلبها غادرت وتركتني وجها لوجه مع أم أدهم.. تنطق بكلام يصعب عليا فهمه فهي لا تعي ما يحدث.. كلما نظرت لعيني تقول «إوعي تتجوزي يا بنتي».. ثم تعود فتحدث نفسها «أنا كله جبته لنفسي».. «أبويا قالي ما لسه بدري مسمعتش كلامه».. «اتخرجت من الجامعة اتجوزت محققتش نفسي معملتش حاجة ليا قضيت حياتي شغالة في البيت بس».. علمت أن حالها ميئوس منها فتركتها تتخلص من مشاكلها النفسية.. ورحت أفكر فيما قالته.. جميل أنها تؤدي دورها كأم وكربة منزل ولكن أين تحقيقها لذاتها.. أين إنجازها الذي يبقى ويسطر لها كيانا ناجحا.. علمت أن المشكلة أكبر من مجرد صمت زوجها الدائم.. ماذا حققت في حياتها..

سنوات دراسة كثيرة وبعدها سنوات تخصص بالجامعة وماذا بعد.. لم تحقق شيئا.. تشعر بخواء داخلي.. كل ما تقوم به من أعمال يعتمد على وجود طرف آخر مستفيد غيرها.. تريد أن تكون يوما ما طرفا مستفيدا ولو حتى ببضع كلمات من زوجها إلا أنه يبخل عليها بهن.. انتابني فجأة صعود وهبوط سريعان في صدري.. أشعر وكأنني أتحدث عن نفسي.. ولكن إن كان هناك ما يعيق أم أدهم.. ماذا يعيقني أنا.. لم أشأ أن أتوقف عند تلك النقطة كثيرا فحالتي لا تتحمل مزيدا من نوبات الاكتئاب.. لكن شيئا ما بداخلي جعلني أسعى لوضع حل لحالة أم أدهم.. انتظرت انقضاء اليوم وتحدثنا في طريق عودتنا عما حدث.. آخذ آراء أبي وأخي فيما يجب فعله.. لكن ما من فعل سديد يطرح ويلح علينا أن نأخذ به..

انتظرت حتى الصباح.. أعلم أن أبو أدهم في عمله الآن.. طرقت باب جارتنا أم أدهم ففتحت لي الباب.. تحدثنا سوية فيما حدث البارحة.. هي تشعر بسوء شديد لفضيحة ليلة البارحة.. «تحلف» أن الناس سيتكلمون عن تلك الليلة لأيام قادمة فأقسم لها أنها مخطئة.. فهم سيتحدثون عنها لعقود قادمة.. ولكن من منا لا يعاني فضيحة ما في مكان ما يذل بسببها من أشخاص ما.. علمت منها أيضا أنها لم تر وجه أبو أدهم منذ أن فصل أبي بينهما البارحة وهو ما تراه فائدة كبرى تشكر أبي

عليها شكرا جزيلا..

تجاذبنا أطراف الحديث فعلمت أنها خريجة فنون تطبيقية قسم ديكور وقد دخلت هذا القسم من الأساس لأنه مفيد للمرأة فإن لم تعمل به فهو لتجهيز بيتها كما يقول والدها.. صحيح أن ما من شيء في بيتها يدل على أنها مهندسة ديكور إلا أن الملاحظة هذه لو أفصحت عنها لكانت كفيلة بأن أتلقى سيلا من الشتائم اطرد تباعا لها.. لذلك احتفظت بها لنفسي..

لم أنمق كلامي ودخلت في صلب الموضوع:

– بصي انتي مشكلتك بجد يا نادية إنك مش بتشتغلي من 12 سنة من ساعة ما اتجوزتي وانتي رابطة نفسك بالبيت والعيلة.. انزلي اشتغلي حققي نفسك.. متقعديش في البيت.

– تفتكري.

– لا أنا متأكدة الاكتئاب اللي عندي راح شوية لما انشغلت مع بابا صحيح مش شغل مناسب ومش دائم وعلى قد الحال بس أهو أحسن من قعدة البيت..

وهكذا حتى أقنعتها أن عليها التحدث مع زوجها بجدية في هذا

الأمر والبدء فعلا في البحث عن عمل.. أما عن مهمة إقناع زوجها فقد تحدثت مع أبي ليتدخل فيحرض أبو أدهم على الموافقة وليوضح له ما سيعود على الأسرة بالكامل من نفع.. لم يخيب أبي رجائي فهو لديه طريقته المميزة في الإقناع.. وبدأت بالفعل تبحث عن عمل لها وزوجها ويا للعجب يساعدها في ذلك.. أعلم أنها ستواجهه مشكلة «من أين تبدأ» تماما كما تواجهني هذه المشكلة الآن.. كنت قد هيأت نفسي أن أعمل كمعيدة بالجامعة وبعد أن صد ذلك الباب في وجهي لا أدري من أين أبدأ.. إلا أن مجال عملها متوفر بكثرة قد تجد شيئا في غضون شهور قليلة.. وبالفعل ما هي إلا أيام حتى استلمت أول عمل لها..

مع مرور الأيام شعرت أم أدهم أنها تحقق ما تصبو إليه وأنها كائن فاعل في المجتمع ووجدت نفسي أغبطها في الخفاء.. بدأت المشاجرات تختفي تدريجيا فهي لم تعد تقوى على الكلام بعد يوم عمل شاق.. وبدأت المشاجرات تتحول لضحكات.. في خلال شهر لا أكثر لاحظ الجميع تغيرا ملحوظا في علاقة العائلة ببعضها البعض.. لم أتصور أبدا أن أجني ثمار نصائحي بهذه السرعة..أصبحت أكثر اعتزازا وثقة في آرائي.. أسدي النصح لأي شخص يعاني من مشكلة ما.. لا يهم إن كنت لا أستطيع حتى فهم مشاكلي الخاصة فالأهم هو أني أصنع فارقا لدى الناس.. ويبدو أن

خبراتي الاجتماعية تؤهلني أن ألعب دور المستشارة الاجتماعية.. نعم لم لا.. فلأبحث من أين أبدأ هذا الشيء فبطالتي تسمح بذلك.. جاء صوت صراخ قطع حبل أفكاري.. أسترق السمع فإذا به صوت جارنا أبو أدهم يصرخ قائلا: الست أمك دي هتفضل لحد إمتى في الشارع، الأكل وطبخته، الغسيل ونشرته فاضل أمسح الأرض وسيادتها لنصاص الليالي في الشارع..!!!!!!

هنا تراجعت عن أفكاري السابقة وشرعت أكمل ما في يدي من أعمال..

(د. أ.ف)

«إن جت على الرغيف متكلمنيش ع الشريف».

- «ربنا يخليهالك يا باشا»..

- «لا دي أختي»..

هكذا كان رد أخي على الشحاذة التي كانت تزاول عملها في موقعها المعتاد عند عتبه العمارة كغيرها من زملاء المهنة.. بغض النظر عن رد أخي المستفز لفت انتباهي أن مجموعة أكياس المناديل التي تحملها تلك السيدة لم تنقص تقريبا منذ اليوم الأول الذي شرعنا في توضيب العيادة فيه، فسألتها في فضول يميل إلى السخرية:

- «يا حاجة هيا المناديل دي ما بتتبعش».

- «ولما يتباعوا أسرح أنا بإيه خليهم».

- «إلا هما معاكي من إمتى».

- «مش فاكرة».

- «إزاي يعني».

- «أصلهم ورث».

- «؟».

- «ورثاهم من أمي، أربعين المرحومة عدى عليه 3 تشهر، ولما ربنا افتكرها بقيت بسرح بيهم، إنما انتي شكلك كده بنت حلال وهتنفعيني، ربنا يخليكي يا بنتي حاجة للغلابة».

إلى هنا والموقف ينتهي فليس من اللطيف أن تعلموا أني لم أخرج من جيبي حتى 5 قروش لأعطيها، ليس بخلا مني لا سمح الله ولكني آتي إلى هذا المكان صباح مساء، لا أنقطع بسبب أشغال التوضيب فإن أعطيتها مرة لن أتخلص منها أبدا فستكون أقرب للصداع المزمن..

أنتظر أحدهم ليعبر الدرج فأعبر أنا خلفه نظرا إلى أن الدرج قد لا يتحمل ثقل اثنين فوقه بالإضافة إلى صندوق ثقيل يحمله هذا الرجل فوق كتفه فآثرت السلامة وانتظرت.. ثوان معدودة وصعدت الدرج لم أكن أدري وقتها أني على شفا تلقي كابوس سينزل على قلبي كالصاعقة.. دخلت العيادة وأنا أزيح بقدمي صناديق هنا وهناك وأكوام من ورق الجرائد

المستعمل وبعض الأوراق البلاستيكية.. ألقي نظرة خاطفة نحو الشباك.. أشعر بشيء غير مألوف.. ما لبثت إلا أجزاء من الثانية فألقيت عيني على الشباك مرة أخرى.. تسمرت مكاني وأنا أحاول استيعاب ما يحدث.. أرى عبر الشباك كارثة، آخر ما كنت أتوقع حدوثه حقا وفي هذا الوقت بالذات.. أفرك عيني قليلا لربما أصبت بنوع من نوبات تورم نسيج العين الأزرق أو الأخضر أو حتى البنفسجي إن كان لذلك المرض وجود أصلا..

عبر الشباك أرى «يافطة» عملاقة من النوع الفاخر طول 6 أمتار في 2 متر مكتوبا عليها الآتي:

«د. أ.ف» استشاري الفم والأسنان.

تخصص جراحات الفم.

دكتوراه جامعة ميتشجن..

دكتوراه جامعة..

لا أصدق ما أراه عبر ذلك الشيء الزجاجي الذي أود تحطيمه بشدة فلربما تنقشع الصورة التي أراها عبره.. كيف لم أنتبه مطلقا أن هناك عيادة أخرى لعلاج الأسنان يتم تجهيزها أمامنا، معنى أنهم وضعوا اللافتة أن كل شيء جاهز تقريبا.. عقلي توقف عن التفكير فعلا ألقيت

بجميع مسئولياتي المعتادة جانبا فالأشياء المهمة تأتي أولا ولا يوجد حاليا ما هو أهم من موضوع تلك العيادة اللعينة.. عيادة (أ.ف)..

بالتأكيد لن أجد طريقة أزيحهم بها عن المنطقة تماما إلا لو كانت طرقا غير نظيفة.. صحيح أني لا أملك قلبا ناصع البياض إلا أنه ليس بهذا السواد أيضا.. فكل تفكيري مركز حول طريقة ما نستطيع بها الاستئثار بالأفضلية في هذا الشارع فلا ينافسنا فيه أحد.. لا بالطبع عقلي لن يتجه نحو أن نطور نحن من أدائنا ولكنه يفكر كيف سنجعل خدمات الآخرين تبدو رديئة.. لا يملك عقلي الآن أي مساحة ولا حتى 2 كيلوبايت للتفكير حتى وإن استخدمت طريقة العصف الذهني لن ينتج عنه إلا «عاود المحاولة مرة أخرى».. فأفكر وأفكر.. وأعود مرة أخرى فأفكر ويأبى عقلي الواعي أن ينقذني بأي فكرة ولا حتى عقلي اللاواعي فالصدمة كانت قوية بالفعل..

انتهى يومي بطيئا مثقلا بالهموم.. نركب السيارة في طريقنا إلى العودة للمنزل أخذت طلة أخيرة على واجهة عيادتنا أتبعتها بنظرة على واجهة العيادة اللعينة (أ.ف).. في مشهد يذكرني بالفيلم الشهير لتوم هانكس حين افتتح مكتبة ضخمة مقابلة لمكتبة ميج راين المتواضعة غير أن ميج راين لم يكن يجاورها مطعم رديء الطعم، قميء الرائحة كالذي

يجاورنا.. لا بد أن ميج راين كانت تكره توم هانس حقا.. ولكنها على كل الأحوال كانت محظوظة ففي نهاية الأمر لم تكن لتشارك من بجوارها هذا المدخل الذي لا يحتمل نفرين اثنين فقط.. هذا بالإضافة إلى أنها في نهاية الأمر ارتبطت بتوم هانكس في قصة رومانسية جميلة أما هذا الدكتور الذي أمامنا علمت فيما بعد عندما رأيته أنه لا يصلح بأي حال من الأحوال.. فمنظره الأشبه برجل الأعمال الأبيض البدين فاحش الثراء ذي خاتم ذهبي عريض في إصبع يده والذي إن تتبعت جميع الصفقات المشبوهة تجدها تقود إليه، جعلني أدرك أنه ما من مجال لينتهي الأمر كما انتهى بين ميج راين وتوم هانكس..

أيام تتوالى وأعمال تجهيز العيادة المقابلة لنا (أ.ف) تجري على قدم وساق أيام أخرى وقد انتهت جميع الأعمال بسرعة الصاروخ وبدأت العيادة اللعينة في مزاولة العمل فعلا..

لك أن تتخيل أن همتي أنا وأمي وأخواتي في فتور يتضاعف كلما مررنا على هذه اللافتة إلا أن أبي وأخي أظهرا هدوءا لا أدري حقيقة ما سره لا أحد منهما هنا يستشعر الخطر القادم من العمارة المقابلة.. لسان أبي يقول كله نصيب محدش بياخد غير رزقه إلا أنه أيضا قليل من الحرص لا يضر كان لا بد من اتخاذ الأسباب.. كنت أفكر في الجملة

الأخيرة وأنا أعبر ذلك المدخل الضيق وهو يحتوي على نفس الرائحة «إياها».. وفي المدخل تجلس الشحاذة «إياها» معاها نفس الكلنكسات «إياهم».. قاعدة على العتبة «إياها».. ولكن ما أن تخطيتها حتى تفتق ذهني أخيرا عن فكرة أطلقت ابتسامتي التي من وسعها قد تضيء المدخل المظلم بالكامل.. نعم اتخاذ الأسباب.. اتخاذ الأسباب.. تحركت عدة خطوات للخلف وتوجهت مرة أخرى لتلك السيدة.. توجهت لها بابتسامة مشرقة وقلب نابض وحنان فياض ووضعت جنيها في يدها برفق بالغ..

ملت رأسي قليلا وقلت لها بصوت رقيق:

– ربنا يكرمك يا حاجة إن شاء الله.. (التفت يمينا ويسارا ثم تابعت) إلى قولي يا حاجة هما الناس اللي في وشنا دول شغالين بقالهم قد إيه؟؟

نظرت إلي وهي ترسم على وجهها بلاهة تتعمد أن تؤكد لي أنها مصطنعة وقالت:

– انهين دول؟

اللعنة، المرأة الخبيثة، تريد أن ترد بعضا من صنيعي معها..

ادعيت عدم التأثر إطلاقا بتلك المذلة أو ربما عدم الفهم من الأساس وتابعت:

- أنا أقصد اللي في وشنا دول يا حاجة.

- انهين يعني؟ تقصدي العيادة؟؟

- لا العيادة إيه يا حاجة أنا مالي ومال العيادة أنا أقصد المحل اللي جنبهم؟ (قليل من التمويه يخدم القضية).

- مين؟؟ الحلاق اللي جنبهم؟ طب ده حلاق رجالي يلزمك في حاجة يا دكتورة..؟؟

- إحم.. إيه ده بجد مخدتش بالي (يا إلهي أستمر دائما في إحراج نفسي، لم لا أتطرق للموضوع سريعا وأنتهي).. - إلا هيا العيادة دي فتحت قريب مش كده..

- يعني بيجي 3 أسابيع كده..

- بيقلوا إنه دكتور شاطر..

- معرفش والله يا دكتورة..

- أممم زباينه حتى شكلهم مهندم مش كده..

- معرفش والله يا دكتورة..

هنا قد فهمت.. الجنيه الواحد لا يكفي لكي تتحدث أكثر من ذلك.. اصطنعت عطسة كانت أقرب للتثاؤب لا يهم لسنا في تجارب أداء على مواهب التمثيل.. فأنا لا أكترث ولا حتى هذه السيدة تكترث..

- المناديل اللي معاكي بكام يا حاجة..

انفرجت أساريرها وقالت..

- بجنيه ونص..

أخرجت من جيبي جنيهين ووضعتهما في يدها.. همت أن تعطيني كيسا من المناديل ولكنها توقفت وقالت:

- عايزة المناديل ضروري أوي..

- لا خلاص لقيت مناديل في جيبي.. ها ماقولتليش يعني..

- بصي يا آنسة هو على ما أفتكر كده هو بيفتح من الساعة 8 للساعة 11 كل يوم بيجيله ناس يدوا على بشوات شوية يعني شغال حلو بتاع 5، 6 زباين بيجوله كل يوم الكشف بتاعه سمعت كده إنه بـ70 جنيه..

جميل فعلا.. فمفعول الجنيهين يمتد لأكثر من 3 معلومات..

صمت قليلا ثم قلت:

- تلاقيكوا بقى بتكسبوا من هناك كتير.. بشوات بقى بيدوا حسنة تسد..

- آه الحقيقة آه.. بس هما بيسيبوا رحمة ربنا تنزل..

- إزاي يعني يا حاجة..

- بيطلع البواب يا بنتي يتحمق علينا ويقعد يصرخ ويشتم علشان نمشي من هناك..

- وهو يعمل كده ليه إنتو بتمشوا في الشارع اللي هو بتاع الناس كلها.. لا لا لا ملهوش حق.. بصي إنتو تلموا بعض تروحوا تقفوا هناك وحتسترزقوا تمام يعني.. (هه أخيرا أخرجت ما أريد من صدري فمجموعة من الشحاذين أمام تلك العيادة اللعينة كفيلة بتطفيش بعض الزبائن على أقل تقدير)..

ابتسامة خبيثة على وجه السيدة فقد فطنت لما أريد وقالت:

- ونسيب هنا إزاي يا دكتورة ده إنتو بقيتوا أهل..

- لا متقلقيش محنا هنبقى نفتكرك برضو..

- بصي يبقى كده نتفق على المكشوف هروحلك أنا والعيال وولاد عبد السميع والولية أمهم.. بس انتي بقى تكرميني بحاجة على جنب

كده كل يوم..

– عيني يا حاجة..

– لا مش عينك.. هعمل إيه بعينك أنا عايزة فلوس.. ها هنتفق على كام كل يوم.. خمسه جنيه حلو..

– نعم.. لا يا حاجة كده كتير.. إنتو رايحين هناك مش هتتأنتخوا وبس.. إنتو كمان رايحين تشحتوا.. وبعدين دول 3 ساعات بس.. حلو أوي اتنين جنيه كل يوم تمام..

– 250 قرش..

– ماشي زي بعضه يا حاجة.. إلا هما بيقلولك حاجة إيه؟؟

– أم سيد..

– ماشي يا أم سيد اتفقنا..

– والدكتورة اسمها إيه.. (لقد اكتفيت حقا.. مساعدة والدي في تجهيز عيادته لا تجعل مني دكتورة أنا الأخرى).

– مش دكتورة يا أم سيد مش دكتورة..

تضحك أم سيد في خبث واستخفاف وتقول:

– ماشي يا مش دكتورة.. مش هنشوف بقى حاجة كده في الأول

علشان نفسنا تتفتح يعني..

- يخربيت..

دسست يدي في جيبي فأخرجت جنيها آخر و«رزعته» في يدها.. لم تكترث لأسلوبي ولم أكترث أنا الأخرى فالمصلحة واحدة.. وقد عقد الاتفاق فعلا..

في اليوم التالي مساء وجدت أن تعسكر الشحاذين قد انتقل من أمام عمارتنا إلى محل عمله الجديد أمام عيادة (أ.ف) المقابلة.. يسألون الخارجين والداخلين بعض القروش.. بواب العمارة ثقيل الظل ذلك لا يستطيع السيطرة عليهم.. والزبائن ممتعضون بعض الشيء.. والخطة «في السليم يا معلم»..

مضى أسبوعان على هذا النهج ومحاولات القائمين على عيادة (أ.ف) للتخلص من حزمة الشحاذين أولئك دائما ما تفشل حتى عندما أحضروا لهم ضابطا ليجبرهم على الرحيل ويهددهم بالحبس لم يكن ذلك ليمنعهم صحيح أنه كلفني 3 جنيهات أخرى أدفعها لأم سيد.. لكن لا يهم فالخطة تنجح..

جئت ذات يوم وقد مضى على خطتي الجهنمية ما هو قرابة

الشهر.. أنزل من السيارة مساء فأجد أم سيد وأولاد عبد السميع وغيرهم من الشحاذين قد انتقلوا لمكان عملهم القديم أي عند مدخل عمارتنا.. ركضت سريعا لأم سيد وأنا أتعجب:

– إيه يا أم سيد انتي نسيتي الاتفاق اللي بينا ولا إيه؟ إيه اللي مقعدك هنا؟

– إيه بسترزق؟

– نااعاام؟، أم ساااااااااايد مش فيه بنا اتفاق ولا إيه؟ انتي نستيه؟؟

– لا منستهوش بس برضو هما اتفقوا معايا اتفاق ما يتسبش بصراحة..

– إيه ده يا أم سيد اتفقتي معاهم ينفع كده يا أم سيد إخص بجد عليكي.. تصدقي كنت بفكر أديكي حاجة بزيادة النهارده.. يصح كده..

– بتديني خمس جنيهات وساعات تزودي عليهم 50 قرش.. كنتي هتزوديني لحد قد إيه مثلا؟ عشرة جنيه؟؟

– مش للدرجادي يعني يا أم سيد متزودهاش عشرة جنيه كل يوم.. ده أنا مرتبي مش هيبقى عشرة جنيه كل يوم؟

- طيب يبقى خلاص بقى شوفي حد تاني.. إنما هما بقى بيدوني العشرة دول كل يوم.. أفضل قعدالهم هنالك ليه بقى..

يا لحسرتي.. ويا له من زمن لا يتوفر فيه حتى أدنى احترام للملكية الفكرية.. حتى خطط الاحتيال تسرق بل ويا لفداحة الموقف إنها تنفذ فيك أنت الذي ابتدعتها في المقام الأول لا غيرك..

لم يكن باستطاعتي المقاومة أكثر فآثرت صاغرة أن أتبع منطق أبي بأن «محدش بياخد إلا رزقه».. وتسير الأيام وأم سيد قابعة عند مدخل عمارتنا.. نتبادل نظرات الكره والاستخفاف في كل مرة.. تسير الأيام والعيادة اللعينة (أ.ف) تستقبل مرضاها على الدوام دونما انقطاع.. وأنا أغبطهم بقوة في كل مرة..

I love you

«الحب.. شر لا بد منه».

رأسي دائما يكاد ينفجر.. لم تعد تخلو حقيبتي من أقراص الأسبرين.. يعلم تاما ما أعانيه كل من عانى تجربة «التوضيب» في مصر واضطر «بعيد عنكم» أن يتعامل مع «الصنايعية».. فمن كان منكم منفتح النفس، بشوش الوجه، هادئ البال، صافي النية، جميل الخاطر، ما عليه إلا أن يتواجه معي ليتحول كل ما سبق لما هو أسوأ من نهاية فيلم «البداية والنهاية».. نعم من أراد ذلك عليه أن يتواجه معي في أي شيء، لأي شيء، وبأي شيء.. فقد كنت قنبلة موقوتة لا يعلم أحد متى وكيف وأين ستنفجر.. لا آبه مطلقا إن كنت في المنزل أو في محال تجارية..لا أكترث إن كان أخي هذا من سأنفجر فيه أو صديقتي أو حتى بائع الخضار أو سائق التاكسي.. بضع أيام أخرى لو مضت على هذا المنوال سأصبح كائنا طاردا لكل الآدميين بحق.. انطويت لبضع لحظات أفكر.. قد هالني فعلا ما وصلت إليه حالتي النفسية.. حرضت أبي والعائلة أنه وحيث إننا ننتوي «التصييف» فلا يوجد ما هو أنسب من هذه الأيام «للتصييف» في أي

مكان كان.. لا يهم.. المهم أن أهرب من تيهي وأعود لأحسب كائنا عاقلا مرة أخرى..

وقد حدث بالفعل.. 3 أيام و4 ليالٍ كانت كفيلة بتغيير منسوب ضغط الدم لدي وانخفاضه ليقارب معدلاته الطبيعية.. وقررت أنه ومن باب «أتبع السيئة الحسنة تمحها».. أن أتوجه لكل شخص أصيب بإحدى رصاصات الغضب التي أطلقتها عليه فأعبر له عن مدى اعتزازي بوجوده في حياتي وأن أتنازل عن كبريائي المعتاد وأقول له من دون خجل وبقلب مفعم بالحنان «أنا أحبك حقا.. كم أنا ممتنة لوجودك في حياتي».. وفي حالة تملك الخجل مني وفعل بي فعله الدائم يمكنني أن أتجنب الأمر بأن أقولها بالإنجليزية «i love you» فدائما ما أجد الإنجليزية تنقذني من بعض الكلمات المخجلة.. بادئ الأمر ظننتني سأمتنع وسأتراجع في اللحظة الأخيرة لكن شيئا من ذلك لم يحدث فتجاوزاتي كانت أكبر من أن أتغاضى عن الاعتذار عنها خاصة بعدما عاد عقلي إلي أخيرا..

توجهت نحو أختي الصغرى التي لم أعد أتبين ملاح وجهها بعد أن أجهزت عليه منذ ما يقرب من أسبوع.. وقفت أمامها واستجمعت كل ما في قلبي من حنان الأخت الكبرى وقلت لها: «أختي أنا أحبك».. لا ضرورة لأخبركم كم كان وقع هذا الموقف على أختي.. فهي لا تنسى هذا

الموقف على الإطلاق حتى إنها استغرقت أياما لتعي ما حدث.. توجهت بعدها إلى ابنة خالتي التي قرَرَت الإقامة لدينا لتتعلم فنون الطبخ من أمي التي هي ماهرة فيه حقا، وقد قررت ابنة خالتي ذلك بعد أن صنعت بيدها أكلة سمك أقل ما يقال عنها إنها صنعت لتطفيش الزائرين على الغداء وأنا بدوري لم أخف عنها عدم استساغتي لطعامها الرديء فحطمت معنوياتها تماما.. ولم تكن تدري المسكينة أني «في عز أيام» انهياري النفسي والعصبي.. فكان لا بد من الاعتذار لها بعد ما بدر مني، خاصة أن جلوسها في منزلنا يكلفني سريري وأنا بحاجة لنوم طويل عميق مريح.. فوقفت أمامها وبكل حب قلت لها:

- أنا بحبك يا هالة، روحي بقى على بيتك.. اااييه أصدي متزعليش مني أكلك زي الفل أنا بس اللي بُقّي حدق شويتين.

وهكذا أفرغ من الاعتذار من أحدهم فأذهب للآخر.. وحتى لا يسقط أحدهم سهوا كتبت قائمة بأسماء المتضررين من انفلاتي العصبي حتى يتسنى لي أن أقول لهم جميعا «أنا أحبك».. ثم عدلت تماما عن استكمال هذا الأمر بعد أن تنبهت أنه ما عاد يوجد بالقائمة إلا عم أبو فتحي الخضراتي وأبو آسيا البقال وعم عبده البواب وأسطى فتحي النقاش والمعلم سامي صاحب المطعم.. أصلهم مالهمش في اللغات..

جميع الحقوق محفوظة

«الشجاعة العظمى هي أن لا تخشى أن تبدو جبانا».

أحمد خالد توفيق

إن مفهوم الرفايع يختلف عند الناس عنه عند أبي.. فمذ أذكر فإن الأساسيات عند أبي تقف عند الرقم ثلاثة، أما ما عدا ذلك فهي «رفايع» لا ينبغي الانشغال بها.. فما عدا شراء المعدات الطبية والاتفاق مع أحدهم للدعاية والإعلان والاهتمام بمستلزمات المعمل تبقى أغلب الأشياء رفايع لا لزوم لأخذها في الاعتبار.. ومن هنا كان الاهتمام بأعمال السباكة والدهان وتركيب السيراميك والكهرباء وانتقاء العفش وتركيب خط هاتف داخلي وتركيب التكييف وغيرها من «الرفايع» تقع على عاتقي أنا وأخي.. وأختي في بعض الأحيان إن سمحت لها ظروف عملها البائسة بذلك المشفى الحكومي البائس مع أولئك المرضى البؤساء..

وبما أن بطالتي تمسح لي فقد كنت أتابع «الرفايع» وأنا أساعد أبي

أيضا في أولوياته التي ولحسن حظه سارت بشكل أيسر من المعتاد.. انطلقنا لشراء المعدات فشددنا الرحال إلى تلك الشوارع التي تشتهر بمكاتب بيع المعدات الطبية وانتهى بنا المطاف إلى أحد ممن أرشدتنا إليه ذاكرة أبي.. فأحد أصدقائه كان قد أخبره عنه بعد أن تعامل معه «وخرج مبسوط».. صاحب المحل من النوع الذي نطلق عليه بالعامية «مضيع على الآخر» فهو يزعم أنه رأى أبي ذات مرة في الوقت الذي كان أبي يعمل فيه في تلك الدولة الخليجية ثم يذكر خلفا لذلك أنه لم يسبق له السفر مطلقا إلا أنه متأكد أنهما كانا في نفس المدرسة التي لم يدخلها أبي إطلاقا ثم يحلف بالمصحف أنه يثق تمام الثقة أنه تجند مع أبي في نفس الدفعة على الرغم من أنه يكبر أبي بـ15 عاما.. إن لم تفهم شيئا مما سبق فأنا كذلك أيضا..

اتفقنا على أن تشحن المعدات إلى عيادتنا بعد خمسة أيام بالضبط.. والحق يقال وفي سابقة لم أشهد مثلها في بلدنا هذا.. إنه وكما اتفقنا نصا.. بعد خمسة أيام بالتمام.. الساعة الـ9 صباحا كانت المعدات أمام باب العمارة.. أعتقد أنها نوع من الدعابة أو أننا سنفاجأ بخطأ ما في المعدات لكن شيئا من هذا لم يحدث.. اليوم فقط أيقنت أن في بلدنا ثورة..

مرت أيام انشغلت فيها «بالرفايع» إلى أن حان الوقت للاهتمام بمسائل الدعاية والإعلان.. وبما أن عيادتنا في منطقة تجارية حية فكان

من السهولة بمكان العثور على شركة للدعاية والإعلان ميسورة التكاليف جيدة المنتج.. كنت قد أطلقت إبداعي الفني فصممت للعيادة «لوجو» فاخرا بحق وتفننت في شكل كتابة الاسم وأرقام التليفونات والبريد الإلكتروني «لزوم إضفاء لمسة تكنولوجية على المكان أعلم أنه لن يتم الاستفادة منه بشيء ولكنه لن يضر أيضا».. وبذلك لم يكن لأبي إلا أن يذهب بتصميماتي لتلك الشركة فتطبع ما سبق في شكل لافتة خارجية و«كروت» للتوزيع وغيرها من مستلزمات الدعاية..

انتظر أبي في السيارة فما كان عليه إلا أن يعطي «الفلاشة» للرجل فما من داعٍ لمرافقته داخل المحل.. بضع دقائق مرت وإذا بأبي يخرج من المحل ويؤشر لي أن تعالي.. أغلقت السيارة وتوجهت نحوه.. اعتقدت أن خطأ ما قد حدث إلا أنه ويا لحظي السعيد كان اللوجو الذي صممته قد لاقى استحسان الرجل عارضا علي العمل ضمن فريق تصميم الدعاية والإعلان الخاص به.. لم أصدق ما سمعت فالأول مرة منذ تخرجي تتاح لي فرصه أن أكون امرأة عاملة.. لم أسأل حتى عن الراتب فبالتأكيد سيكون أفضل من الـ400 جنيه التي وعدني بها أبي.. لم أسأل حتى ماذا سأعمل تحديدا ففي جميع الأحوال ستكون أفضل من عملي كموظفة استقبال.. لم أسأل عن عدد ساعات العمل لا يهم فأنا حاليا أقضيها ذهابا وإيابا في

الشارع لا لشيء إلا أن لا أشعر بالفراغ.. أيا كان الوضع سأقبل بالتأكيد فبطالتي تسمح بذلك..لم أتردد لحظة ووافقت على الفور فحددنا أول الشهر القادم على أن يكون أول يوم لي في العمل، أي بعد 3 أسابيع كان ذلك أفضل لكلينا، فهناك أعمال بالعيادة على عاتقي وحدي لم أنهها بعد..

أعد الأيام حتى ذلك اليوم الذي سأعمل فيه في تلك الشركة.. لا يخلو يومي من القليل من المساومات بيني وبين أبي.. فأنا أحاول أن أجمع بين وظيفتين وأبي يريدني متفرغة لأحد الوظيفتين.. إما أن أركز جهودي في عملي بتلك الشركة أو أن أتفرغ للعمل معه..

أذهب من فرط حماسي لذلك المحل كلما ذهب أبي «للتشييك» على طلباتنا حتى انتهت بالفعل في غضون الأسبوعين.. مشهد اللافتة وهي تزين واجهة العيادة يدخل البسمة على القلب.. فهي ليست مجرد لافتة قد أخذت مكانها على المبنى وإنما هي دليل بذل جهد جهيد حتى وصلنا لهذه المرحلة فقد انتهى ما يقارب ثلاثة أرباع العمل.. وتبقى القليل لأشرف عليه، لا لأنه لا يوجد من يستطيع أن يقوم بهذا العمل غيري، ولكن من الأهمية بمكان أن أنهي عملي الذي بدأته مع أبي.. لا ليس شهامة مني لا سمح الله، ولكن في حالة أردت العمل في العيادة مرة

أخرى.. سأتمكن من أن أطلب ذلك من أبي دون أن يعتريني الخجل..

أربعه أيام وأبدأ بعملي الجديد.. أتصفح الإنترنت وأقرأ مقالات من هنا وهناك عن الاستعدادات اللازمة لدخول ميدان العمل.. أمل من المقالات بعض الشيء فأفتح حسابي الشخصي على الـ«فيس بوك» انتشي عملي الجديد وأخبر جميع الأصدقاء أن يباركوا لي دون أن يطلقوا لأعينهم العنان فأحسد لا قدر الله.. أفتح إيميلي الشخصي لأتابع آخر الرسائل البريدية.. لا شيء جديد غير تلك الإيميلات المملة من الفيس بوك والتي أصبحت تعبئ صفحات البريد الإلكتروني.. أفكر بأن أطل على الإيميل المخصص للعيادة وأتحكم قليلا بالتعديلات.. لم لا فلأفعل ما يحلو لي فلا شيء يمنعني من الاستمتاع بآخر ساعات الفراغ لدي.. ثوان والإيميل بين يدي.. لا شيء يذكر بعض الإيميلات من إدارة الموقع لا شيء غير.. لا ثواني.. هناك إيميل من (أ. ط. ح. ع).. أقرأ الإيميل فإذا بها مؤسسة عربية لطب الفم والأسنان.. إممم.. ربما أرادوا التعاقد معنا لغرض ما.. أبدأ في قراءة السطور الأولى فإذا بي أتلقى صفعة قوية لم أر لها قدوما.. إنها ترسل لنا تحذيرا شديد اللهجة لاستخدامنا شعارها المحفوظ لها بموجب القانون.. وإلا استخدمت الإجراءات القانونية اللازمة ضدنا.. لم أفهم ماذا يجري.. قرأت الرسالة مرارا حتى أعي ما يحدث.. يا لحظي

التعس.. لم أكن أدري وأنا أقتبس «اللوجو» من إحدى صفحات الإنترنت أنه يعود لمؤسسة كبيرة تختص بطب الفم والأسنان.. لا لم أسرقه لا سمح الله ولكنني استرشدت به بدرجة.. إحم.. كبيرة بعض الشيء.. اللعنة.. لم يمض على وجود اللافتة هناك سوى بضعة أيام كيف لهم أن يراسلونا بهذه السرعة.. الآن لا شيء أعسر علي في هذه الدنيا سوى مواجهة أبي بالحقيقة.. كم سيحبط.. كم سيخيب ظنه.. فكرت بادئ الأمر أن أتصرف وكأني لم أر هذا الإيميل مطلقا.. ولكن إن تم اتخاذ إجراءات قانونية ضد العيادة فعلا فستكون العواقب وخيمة..

أحاول تجنب والدي طوال النهار فلم أستجمع قواي بعد لألقي عليه الخبر.. أبي يلحظ وجود شيء ما ولكنه كعادته صبور لا يلح علي.. تمر الساعات سريعة، وعلى العشاء أسمع والدي يقول إنه ينتوي زيادة «طلبية الكروت» من شركة الدعاية.. يا إلهي إما أن أتحدث الآن أو أصعب الموقف على نفسي أكثر.. استعنت بالله وقلت بيني وبين نفسي «ليقض الله أمرا كان مفعولا».. وضعت اللاب توب أمام والدي..

أقول له وبعينين مستحييتين:

- «الإيميل ده مهم يا بابا اقرأه لو سمحت»..

- «طب قوليلي بقول إيه مش فاضي أنا»..

- «لا معلش اقرأه أنت يا بابا».

عينا أبي تمر بين السطور.. يقرأ السطر تلو الآخر بصمت مطبق.. لا أرى أي تعبير على وجه أبي.. دقائق مرت تكفي لقراءة الخطاب أكثر من مرة وأبي عيناه لا تفارق الشاشة.. نظر إلي وقال: «كنتي تاخدي بالك من الأول حصل خير.. هنشوف الموضوع ده بكرة».

أعلم تماما أن أبي يملك من الحلم ما يجعله كلما عظم غضبه قل رد فعله.. هو غاضب مني جدا.. كان ذلك كافيا أن أقضي ليلتي تعيسة وبائسة.. لا لن أفكر في شيء آخر.. يكفيني ما حدث اليوم.. أما عن العمل الذي ينتظرني في شركة الدعاية تلك فلدي يوم غد بأكمله لأفكر فيه..

صباح اليوم التالي ذهبت مع أبي لتلك الشركة.. في رأسي تدور الكثير من الأمور.. لو علم هذه الرجل بشأن المساءلة القانونية حول ذلك الشعار الذي أعجب به لطردني من شركته شر طردة.. لكن أبي تولى الأمور جيدا.. ألغى جميع اتفاقاتنا التي لم يشرع الرجل بعد في عملها.. واعتذر له عن عملي معه فأنا وفقا لقول أبي جاءني عمل مناسب في مكان آخر يتعارض مع عملي في شركتهم.. أسمع أبي يتحدث وأنا يملؤني

الفخر والإعجاب فقد ستر خطئي.. كم أنـا محظوظـة بـأبي.. خرجنـا مـن ذلك المحل والحق أن أبي لم يتحدث معي في ذلك الموضوع مرة أخرى فهـو يعلم تماما كـم يعتريـني الـذنب.. وانطلقنـا نبحـث عـن شـركة للدعايـة والإعلان من جديد.. وهو ما حدث في الأيـام القليلـة التاليـة.. وعـدت أنـا كسابق عهدي أعمل في تجهيز العيادة.. فبطالتي تسمح بذلك..

للنصب وجوه كثيرة

«اجرِ جري الوحوش وعلى كابلاتك حلق حوش».

على الرغم من ضيق مساحة الشارع الداخلي أمام مدخل العيادة والذي لا يتجاوز الثلاث حارات إلا أنه من شدة الزحام، اضطررنا إلى «الركنة» صفا خامسا كالعادة.. لكن يبدو أن زحام اليوم على أشده لا أدري سببا منطقيا له وعلى رأي أخي منذ متى كان للزحام في مصر أسباب منطقيه؟؟ لم نكن نستطيع الانتظار أكثر للحصول على «ركنة» أفضل فعمي مل الانتظار وهو الذي أشرف على أعمال بالعيادة اليوم تطوعا حتى نأتي قد بدأ صبره في النفاد ولا ينقطع عن مهاتفتنا فهو لديه مشاغل لا يستطيع تأجيلها.. تركنا السيارة صفا خامسا وصعدنا الدرج سريعا.. نعم يوجد مصعد يمكننا استخدامه.. هذا إن اشتركنا شهريا بـ5 آلاف جنيه وبما أن العيادة في الدور الثاني فسيعتبر الاشتراك فيه سفاهة ورفاهية لا طائل منها.. خاصة أن المصعد من ذلك النوع «المهترئ» الذي يتعطل في اليوم 7

مرات وتكفي مساحته لثلاثة أشخاص لا أكثر على أن لا تزيد أوزانهم عن 45 كيلوغراما وإلا فلن يتزحزح المصعد من مكانه..

تسلمنا الإشراف من عمي شاكرين إياه على موقفه الشجاع معنا فنحن نعلم تماما ما كان يعانيه خلال وجوده هناك..إلا أنه لم يكن وحده فقد فوجئنا بزوجته وقد رافقته أيضا.. ولن لا يعلم فزوجة عمي هي ذاتها خالتي.. نعم، لدي شجرة عائلية تذكرني بجغرافية المكان الذي أقف فيه الآن.. كلاهما متداخل وغير مفهوم.. غادر عمي سريعا وترك زوجته نستأنس بها فلم يكن لديها ما يشغلها فقررت إمضاء بعض الوقت معنا.. خالتي شخصيه فريدة من نوعها تتبع قواعد خاصة بها الحياة.. فهي تأكل ما يستهويها وتلبس أيضا ما يستهويها.. لا تعبأ بمكان أو زمان أو حاضرين فحينما يصدر منك ما لا يروق لها ترد لك الصاع صاعين في التو واللحظة.. هي مركز إخباري متنقل يمكنك معها الاستغناء عن خدمات جوجل والسي إن إن فهي تعشق قراءة الجرائد بكافة أنواعها تحفظها عن ظهر قلب وخاصة صفحتي الحوادث والوفيات.. وعلى الرغم من أنها لم تطأ معترك العمل السياسي ولا تعلم عنه شيئا إلا أنها تفقه في السياسة ما لا يفقهه أساتذة كبار مخضرمون..لديها حس فكاهة عال يتناسب طرديا مع قاعدة معارفها العريض إذ لو فكرت لتترشح في

انتخابات مجلس الشعب عن دائرتنا لاكتسحت.. وللعلم فهي قد ذهبت فعلا فيما بعد لتسحبت أوراق ترشحها لكن هذه المرة للرئاسة بمؤازرة المئات من الجماهير العريضة التي علمت خالتي فيما بعد أنهم رافقوها ليسحبوا هم أيضا أوراق ترشحهم.. خالتي يعرفها أغلب من في المدينة بدا من أصحاب المحال وحتى كبار القوم بالمدينة.. دائما ما تتبسط معنا في الحديث فتظن أنها ربما أصغر منا سنا ولا داعي أن تذكرها بغير ذلك فهي لا تشبه أكثر النساء في شيء إلا في مسألة التحرج من ذكر أعمارهن فهي قد أوقفت الحسابات العمرية عن سنة الـ21 ونصف.. فمتى ما تسألها عن عمرها تكون الإجابة «واحد وعشرين ونص».. ثم إن تسألها عن عمر حفيدها تكون الإجابة «اهو ماشي في خمس سنين»؟!!

نجلس أنا وخالتي في إحدى الزوايا وكالعادة نحن لا ندع الصمت يتخلل بيننا:

- خالتشي.. إيه الحلاوة دي..

- هه طول عمري..

- بس إيه الشياكة دي يا خالتشي..

- انتي هتستهبلي يا بت انتي.. مهي نفس العباية اللي بجلكوا بيها كل مرة..

- مش ناوية تغيرها يا خالتشي وتطلعي بقى اللي في الدولاب..

- الله مريحاني وانتي مالك هو انتي إلى بتلبس ده حاجة غريبة بجد..

- لا بس منورة يا خالتشي.. خالتي.. خالتي؟؟!! روحتي فين يا خالتشي..

لم أعد أرى خالتي فالمكان أُظلم تماما.. قطعت الكهرباء.. لكن على ما يبدو في الشارع ككل.. ردت خالتي مستهزئة..

- من نورك ياختي.. أهي الكهربة قطعت..

وضحكنا أنا وهيا سوية..

مرت ربع الساعة.. فنصف الساعة.. فساعة.. فساعات.. نحاول العمل في الظلام جاهدين لكن دون جدوى تذكر.. أراهم منذ أكثر من 3 أيام يعملون على تصليح الكابلات الأساسية فالبعض قد اشتكوا من انقطاع الكهرباء.. يأتون لبضع ساعات في اليوم الواحد يعملون في تصليح الكابلات في المولد الرئيسي للحي ويكملون عملهم في اليوم التالي له.. لربما الانقطاع ناتج عن تصليح شيء ما.. فلعله لا يلبث إلا ساعات عملهم القليلة ويعود مرة أخرى.. أستغرب كيف يعملون بعد غروب الشمس فالبديهي أن

أعمال التصليح والصيانة الكهربائية تتم صباحا.. لا ضير فربما يكون شيء طارئ فلندعهم يقوم بعملهم ولنتحمل قليلا غياب الضوء.. لم نعمل اليوم في «توضيب» العيادة ولا «بقرش ساغ» كما يقولون.. كان أبي قد صرف العمال منذ مدة فلا يجوز بقاؤهم معنا وسط هذا الظلام.. وهم بدورهم ذهبوا لينتظروا على مقاعد المطعم القميء إياه..

لم يمنعنا الظلام من تبادل الطرف هنا وهناك.. واكتملت الجلسة حينما جاء أختي معها والدتي قادمين من إحدى المولات التجارية.. وكانتا قد جلبتا معهما بعض الحلوى وأكياس البطاطا المقرمشة.. وأشعل بعضنا الشموع واستعمل بعضنا الآخر كشافات المحمول.. وأصبحنا في جلسات أشبه بجلسات السمر نتجاذب أطراف الحديث الذي لا يخلو من قفشات أخي ونكات خالتي وتنبيهات أمي بين الحين والآخر «بس يا عيال صوتكوا طلع الجيران يقولوا علينا إيه؟؟»..

الظلام يطول وجلسة السمر تطول أيضا.. لا يريد أحدا إيقافها.. يبدو أن بطالتنا جميعا تسمح بذلك.. وإن كانت بفعل فاعل هذه المرة ولكنها أيضا كانت جلسة من تلك التي تبعث السرور في النفس وتنقي الروح من شوائب الاكتئاب والضيق..

أصبح الوضع زائدا عن الاحتمال لا نستطيع البقاء أكثر من ذلك

حتى وإن أردنا فالليل يغوص في ظلامه وإخوتي الصغار وحدهم بالمنزل..

لمح أبي عم عبده - حارس العمارة - ونحن نزول على السلم.. استوقفه أبي وسأله:

- إيه يا عبده الكهربة مطولة أوي ليه النهارده..

- والله يا دكتور في مشكلة كبيرة..

- ليه خير إن شاء الله..

- رحنا للناس اللي شغالة عند الكابل الرئيسي ملقنهمش.. كلمنا الشكاوى بيقولوا مكانوش بيبعتوا حد يصلح الكابل ولا جالهم شكوى أساسا من حد في الحي من فترة.. أتاري ولاد الكـــ.. بيستغفلونا قال بيصلحوا وهما ولاد الكـــ.. بيسرقوا الكابلات شفت بقى بعد كده قله أدب و..

لم أستطع لا أنا ولا البقية تمالك أنفسنا من الضحك ولسان حالنا يقول «احنا اتقرطسنا يا جدعان».. ثلاثة أيام أو يزيد نراهم رؤي العين ذهابا وإيابا نتساءل من هم فإذا بالجميع يجيب أنهم هنا لتصليح الكابلات وقفا لشكوى أحدهم.. ولم يتطوع أحد للتأكد من عملهم ولا حتى للبحث وراء «أحدهم» هذا الذي تقدم بالشكوى..

استغرق الأمر أياما لإصلاح الأضرار.. واستغرق الأمر أياما للتوقف عن الحديث عن ذلك الوقف.. وسيستغرق الأمر عمرا بأكمله أتذكر هذا الموقف وأنا أضحك.. أقابل خالتي فأحييها «منورة يا خالتي» فتبادر.. «حد يلحق الكابلات لتتسرق»..

أفيون الشعوب

«التاريخ يقول إننا أول دولة في التاريخ وأقدم دولة في العلوم وهذا النوع من الشعوب يسهل تحويل رأسه لكرة يتم التلاعب بها».

جلال عامر

أطل من شرفتي في الصباح فإذا بالليل قد حل.. فأمعن النظر.. لأجد أن هذا ما هو إلا دخان صادر من سيارة جارنا «المكحكحة، المكسوحة».. والتي يأبى أن يصلحها أو يبيعها لأنها من وجهه نظره تستهلك بنزينا أقل هكذا.. «والبنزين غال وهو مش ناقص مصاريف».. وأعتقد أني يوما ما قد أصاب بذات الرئة بسبب ذلك الدخان الذي أسعل كلما استنشقته حتى أحس أنه سيجهز على أنفاسي..

ولكني انصرف عن الشرفة لأهتم بتجهيز نفسي للذهاب للعيادة.. ثم أشق طريقي سيرا على الأقدام فأبي وأخي قد سبقاني منذ مدة فصباحهم يبدأ من الساعة الـ9 صباحا بينما صباحي يبدأ بعد الظهيرة

فبطالتي تسمح بذلك.. ولأن أختي ندلة كعادتها لا تنتظرني لاصطحابي بسيارتها.. «ما علينا.. ربنا ما يحوجنا لحد» في كل الأحوال شوارع قليلة هي التي تفصل منزلنا عن العيادة.. أقترب من العيادة فأسرع في خطواتي فلا أريد أن أختلط بأجواء تلك المشاجرة.. فلا يمر يوم طبيعي في الشارع أمام العيادة إلا ويتخلله بعض «الخناقات» بين الشباب أو بين بعض الباعة.. وتتخلل هذه المشاحنات كثير من «المطاوي» والدم وخلع الأحزمة التي تسقط معها البناطيل تباعا وسب الدين والأم كشيء واجب.. أما عن شتم الوالد أو اللي خلفوه أو اليوم اللي اتولد فيه فهي بمثابة التحلية..

وبعدها يسود جو من الفضول بعد المعركة لمعرفة أسبابها والأطراف المتنازعة فيها ومن نصره الله ومن خذل فيوصم لأجل ذلك بالعار الذي يجعله يتوعد بالأخذ بثأره في اليوم التالي ثم يرد الطرف المنتصر «لو راجل تعال وأنا مستنيك».. ثم لا تعجب إذا رأيت كل واحد في حال سبيله في اليوم التالي.. فما التوعد بالثأر أعزائي إلا شكليات للتهديد ليس أكثر.. ثم تعرف أن سبب المشاحنة إن كانت بين الباعة فهي بسبب أن بضائع أحدهم تغلق على الآخر مدخل محله أو أن أحدهم «يخطف» الزبائن من الآخر.. أما إن كانت المشاجرة بين شباب فهي غالبا ما تكون بسبب فتاة «كسابقيها» من الخلافات والمشاحنات.. ولا تخرج المبررات

لها عما يلي..

«يا واحدة اتعاكست فإزاي يعاكسها والبيه واقف معاها.. لازم يحترم إن معاها راجل ويلم نفسه ولو عايز يعاكسها يبقى يستنى لما يمشي».. أو أن «البنت تبقى صاحبة أخو صاحب ابن خال صاحب صاحبه فمش من الرجولة إن حد يكون بيعاكسها أو بيكلمها غيره هو أولى بيها ده حتى الأقربون أولى بالمعروف».. أو أنه «ما يبقاش راجل» في حال أن حمدية «صاحبة أخوه» شكت له عن ميدو وجيمي وكاسبر «الرجالة اللي معاها في المحل» و«ماتحمقلهاش وبهدلهم وكسر الدنيا» وهكذا.. حتى تكون المعارك في شارعنا مليئة بالرجال والجدعان والرجولة والمرجلة حتى تشعر على رأي اللمبي «فاضلنا جوز عساكر ونعلن الحرب على إسرائيل» ونمحقهم ونسحقهم وننزل بهم شر هزيمة ونسحق ديارهم حتى لا نبقي فيها حجرا على حجر.. ولكنك إن تمعن النظر في هؤلاء الرجال فستجد أنهم أقرب للسحالي والأبراص منهم حتى للعيال..

مهما حاول أحدهم إقناعي فأنا لا أجد مبررا لأي مشاحنة أيا كانت.. وأعتبرها سلوكا «حيوانيا» لا تعقل فيه ولا كرامة فيه حتى وإن كنت أنت المجني عليه.. أسمع أحدهم يقول «عمركوا إنتو البنات ما هتفهموا».. ربما..

وما إن كاد رأسي ينفجر بسبب تلك المشاجرات حتى صعدت إلى العيادة فوجدت قنابل موقوتة وغازات مسيلة للدموع قد فجرت بالفعل.. فأختي الصغرى قد أجهزت على أخي الكبير.. ما الذي أتى بأختي الصغرى هنا؟؟ ما علينا.. أخي يريد أن ينتظر صديقا له حتى يأتي وهي تريد أن يوصلها إلى النادي كما وعدها.. هذا غير وجود «أبو أدهم» الذي اعتدنا عليه ليشكي لنا زوجته التي «عصيناها عليه» وأغويناها بالعمل فأصبح لا يراها إلا نادرا.. وكيف أنه يفكر جديا بتطليقها لو استمرت على هذا الوضع.. قليل من الوقت يمر فتجد الحاج «أبو فتحي» صاحب محل الخضار اللي في آخر الشارع يأتي ليعرض ابنه «توحة» على أبي، فقد سقطت إحدى أسنانه في خضم المعركة التي كانت بالشارع منذ قليل والتي نتج عنها أن تكسرت واجهة محل أبو فتحي وهو الذي لا يملك ثمن إصلاحها.. لكن «توحة مش ذنبه» والعهدة على والده فابنه لم يكن ليتعرض لأحد لولا أن «عطية» لم يترك له مجالا لذلك.. إن تنظر إلى «توحة» تجده فحلا قد قارب طوله على المترين وعرضه على المتر ونصف المتر.. لكني بدوري لم أهتم، تركت كل هذا المعمعة وذهبت إلى غرفة المعمل أغلقت على نفسي الباب.. وبدأت العمل.. بعين نائمة وعقل نصف واع وجسد متثاقل يتمنى أنه لم يفارق الفراش..

أنهمك في العمل بطيئا وعيناي تتفتحان أكثر فأكثر وأرى وعيي يجاهد محاولا الإفاقة.. أسمع صراخا يأتي من مكان ما.. أقترب من شباك غرفة المعمل المطل على المنور وإذا بالصوت قادم من الشقة التي بالأعلى إنه صوت «أبو سامي» وابنه سامر الأخ الأصغر لسامي.. أسمع سامر يقول:

- أنا نازل يا بابا.

- على فين يا روح.. (لم يقاطعه أحد ولكن حذف للرقابة).

- ربنا يكرمك يا بابا أنا على أخري.. (هذه المرة قاطعه والده).

- مهو العيب مش منك العيب على أمك اللي مدلعاك رايح جاي.

- ومين جاب سيرة ماما بس.. يلا سلام.

- على فين كده يا سامر.. (كانت هذه من أخيه سامي).

- سيبني الله يكرمك مش إنت كمان، أصل يعني..

إلى هنا فقط. لم أسمع ما حدث بعدها بوضوح ولم أهتم حقا فقد شعرت اليوم بأنني لست الوحيدة التي أمتلك فراغا في حياتي.. صحيح.. بمناسبة الفراغ.. تذاع اليوم مباراة مهمة.. نعم لقد أصبحت أتابع كرة القدم عن كثب فبطالتي تسمح بذلك.. طرت في ثوان وهبطت أمام أخي أسأله:

- هو الماتش الساعة كام؟؟

- تمانية.

- طب وده هنشوفه فين؟

- على قهوة المطعم اللي تحت..

- ماشي تمام.. أقولها وأنا أنظر خلسة إلى أبي لأتبين رد فعله.. أعلم تماما أنه لن يسمح لي أبدا بمشاهدة المباراة في مقهى، خاصة ذلك الملحق بالمطعم القميء أسفلنا ولكن مباراة اليوم مهمة لا ينبغي أن تفوتني.. وإذا بأبي قد فهم مأربي فأخذ يحرك إصبعه السبابة يمينا ويسارا دون حتى أن ينطق بكلمة..

عدت أدراجي خائبة.. أريد أن أشاهد تلك المباراة.. حتى وإن عدت إلى المنزل لن أتمكن من متابعتها فهي مشفرة.. وأبي يأبى أن نشترك في تلك القنوات المضيعة للوقت كما يقول..

عيناي تراقبان الساعة.. تبقى من الوقت أقل من خمسين دقيقة.. أتابع فأكمل ترتيب الأدوات.. ثم أعود فأنظر في الساعة.. تبقى من الوقت أقل من **47** دقيقة.. استمر الوضع هكذا حتى تبقى من الوقت أقل **42** دقيقة قطع أفكاري صوت أبي ينادي أخي:

- «علي» روح هاتلي جبس من أي حتة علشان البتاع اللي بينقط في الحمام ده.

فيرد أخي في بديهية:

- حاضر بعد الماتش أروح أجبهولك..

- حالا يا علي حالا ميستناش ده لبعد الماتش..

- طيب من فين من تحت هنا..

- لا من المحل اللي في الحي اللي ورانا..

- يا بابا كده مش هلحق الماتش.. ده غير اني معرفش هو فين..

يحاول أبي جاهدا وصف المحل لأخي دون جدوى لا أعلم إن كان أخي حقا لا يعلم المحل أم أنه نوع من أنواع «الاستهبال» المتبع دائما في مثل تلك المواقف.. أعرف شعور أخي جيدا فهو أيضا يعد الدقائق حتى ميعاد المباراة.. لكن أبي أيضا في حاجة إلى ذلك الجبس.. تطوعت لأشرح لأخي مكان ذلك المحل فقلت له:

- عارف المحل اللي جبنا منه نظارة علياء.. أهو جنبه على طول..

- مش فاكرة برضو..

رد أبي مسرعا: حلو أوي روحي معاه وريه المحل فين..

إحم.. حسنا ها قد جلبت البلاء على نفسي أيضا.. لكني لم أترك الفرصة دون انتهازها..

- خلاص تعال يا علي نروح بسرعة ونرجع بسرعة علشان نلحق الماتش في القهوة قبل ما يبدأ..

لكن أبي لم يتوان عن صدي مرة أخرى فرد مسرعا: انسي ما فيش عندي الكلام الفارغ ده..

ذهبت مع أخي مشوارنا ذلك نتسلى في طريقنا ونحن نتحدث عن توقعاتنا للمباراة كما يفعل جموع الشعب المصري في مثل هذه الدقائق.. وصلنا إلى ذلك المحل وقد تبقى على المباراة أقل من 25 دقيقة.. يعبئ لنا الرجل بعض الجبس في كيس وحين انتهى كان قد تبقى أقل من 22 دقيقة.. خرجنا من المحل والدقيقة الـ19 في طريقها للانتهاء ليتبقى بذلك أقل من 19 دقيقة.. شارع العيادة مزدحم كالعادة بل بما يفوق العادة.. أوقفنا السيارة سريعا واستعملنا أرجلنا لعلنا نصل أسرع ونحن نمشي على الأقدام..

لم نعد نمشي أصبحنا نهرول..

لم نعد نهرول أصبحنا نجري..

لم نعد نجري.. نكاد نطير.. وبين هذا وذاك كثير من «يلا هنتأخر».. «هو فاضل قد إيه؟»

ها قد وصلنا حيث أرى الناس متكدسة وقد بدأت ألمح التلفاز بصعوبة..

كثير من الضجيج..

كثير من الناس..

كثير من الهتافات..

أشعر بهاتفي يناديني وإذا به أبي أغلق عليه الخط.. فلا أستطيع أن أعلمه أني بالقهوة المجاورة..

استطاع أخي أخيرا تمييز أصدقائه.. هم بالذهاب إليهم ولكنه نظر لي وقال: «خدي ده طلعيه لبابا واتكلي انتي يلا مش ناقص تهزيق على المسا».. اللعنة أخي يتخلى عني.. أزحف بين الناس محاولة الوصول إلى مدخل العمارة.. أسلم الأشياء لأبي وأنظر إليه بعين الاستعطاف.. فقال: «انسي ومش عايز نقاش عايزة تتابعي الماتش يبقى تتابعيه من الشباك».. تحدث أبي بنبرة أعلمها جيدا فالنقاش انتهى فعلا وقضي

الأمر.. أمري لله.. وقفتِ على الشباك أحاول متابعة المباراة ولو بالسمع..

قليل من الوقت مر على بداية المباراة.. وإذا بالمعلم سامي يضطر أن يخرج التلفاز الكبير بالخارج فالمقهى والمطعم أصبحا مكتظين.. ياااااااااه يا عم سامي.. كم أعشقك بحق.. سلمت يداك.. وسلم مطعمك.. وأعطاك الله من واسع رزقه..

أمعن النظر في الجالسين فإذا بعائلة الحاج «أبو فتحي» يهتفون وبجوارهم «عطية» يهتف هو الآخر.. وهناك في الزاوية أبو سامي وابنه الكبير سامي وأخوه سامر يتابعون.. أرى من يؤشر لي من بعيد أنها ابنة جارنا مالك السيارة «المكسوحة» وقد علمت فيما بعد أنه قد جاء وابنته وابنه سيرا على الأقدام توفيرا للوقت.. أمعن النظر أكثر فأرى حمدية والرجالة ميدوو جيمي وكاسبر يتابعون سوية..

المباراة تحتدم..

الكل يهتف..

الكل يشجع..

الكل متحمس..

وما هي إلا ثوان و..

«جــوووووووووووووووووون جــوووووووووووون الله عليــك يــا حبيب والديك.. الله عليك يا حبيب والديك».

هتاف.. صراخ.. أنت لا تستطيع حتى التحدث لمن كتفه بكتفك..

يصرخ أحدهم أن المشاريب «علــى حــسابه» علــى الــرغم مــن أنــه لا يملك ثمنها..

ورجل بالبدلة قضى على ما كان قد بقي لديه من هيبة.. حــين قــام يرقص..

وآخر يحلف «ليدبح عجل لوجه الله».. ثم إذا بــه هــو الحــاج «أبــو فتحي» صاحب محل الخضار الذي لا يملك ثمن إصلاح واجهته المهشمة..

حتى المعلم سامي صــاحب المطعــم قــرر أن يغــير اسمــه مــن «مطعــم فرحات» لــ«قهوة الأهلاوية»..

أهتف أنا الأخرى وأطير عند أبي أبلغــه بــالخبر الــسعيد.. ينظــر إلي بعين الشفقة.. فبالنسبة له أصبح الأمر هوسا وغير مستــساغ.. أبــي لا يستطيع أن يستوعب مدى الشغف الذي أكنه لكرة القدم.. فربمــا انــشغاله لا يسمح بذلك بينما بطالتي تسمح.. صحيح أن الأمور فيما بعد قد أخــذت مجرى آخر خاصــة بعــد فــترة توقــف شــهدتها ملاعــب كــرة القــدم إلا أن

متـابعتي لم تتوقـف بعـد فأصـبحت أتـابع الـدوريات الأوروبيـة، هـذا بالإضافة إلى أن المتعة لم تتوقف نهائيا في مـصر حيـث انتقـل الـدوري إلى ساحات مجلـس الـشعب فبعـد افتتـاح جلـسات مجلـس الـشعب أصـبح المصريون يتجمهرون أمام الشاشات.. ينتظرون أن تفتتح الجلسة بكثير من «هو فاضل قد إيه».. وبعض من «علي شوية كده يا بني».. وسـؤال دائـم في النهاية «هيا الجلسة التانية امتى؟».. وترى أن ساحة المجلس تتكون من فريق إسلامي وفريق ليبرالي بالأساس، وبعـض الفـرق الأخـرى الـضعيفة وفريق يعلب دائما خارج أرضه وهـو فريـق الـوزراء «وبنـاء عليـه» أصـبح هناك جمهور ليبرالي وجمهور إسلامي وآخر مختلط.مباريـات مـن نـوع آخر لكنها مسلية أيـضا.. بخـلاف أن ذلـك النـوع الأخـير مـن المباريـات يحرص أبي على متابعته بشدة.. لا يفوته إحدى مبارياته.. عفـوا إحـدى جلساته.. وأنا بدوري أرى أن الوضع لديـه أصبح زائـدا عـن الحـد وغـير مستساغ..

لو لم أكن مصريا..

«.. لوددت أن أكون تركيا».

أجدد حالتي «الفيس بوكية» كل خمس دقائق تقريبا.. «فأنت لست كما تعتقد أنت أن تكون» كانت آخر ما شاركت مع أصدقائي.. فأنا أرقد أمام شاشة الكمبيوتر أنتظر أن يمر خمس دقائق أخرى لأكتب بيت الشعر التالي «أنا والماء من حولنا قوم جلوس حولهم ماء».. أنتظر «البوست» القادم من أحدهم فكل البوستات الحالية قد حفظتها جيدا حتى التي لم يمض على كتابتها ثوان معدودة.. ومتى ما رأيت «see more» أنقرها دائما ليس فضولا فقط ولكن ما من شيء آخر لأفعله.. فقد انتهيت من رؤية جميع الصور المنزلة على أغلب الصفحات منذ أن أُنشئت.. وإن مرت أمي من أمامي – وهو ما يحدث كل دقيقتين – تلقي علي بعضا من عباراتها المعتادة «والله هدعيلك على الهباب ده علشان يبوض».. «اتلحلحي واعتقي الكنبة شوية».. «يا بت قومي شوفيلك شغلانة تانية»..

وكأنه فعلا لدي شيء آخر لأفعلـه.. منـذ يـومين وأبـي يفـضل جلوسـي في المنزل فالعيادة مكتظة بالعمال.. وبالتالي لا شـيء لأفعلـه غـير أن أتـسمر أمام الشاشة الإلكترونية.. أما إن قدر الله وتزحزحت من أمامه فإنه يكـون لتمديد باقي جسمي على الكنبة وإراحة عيني قلـيلا مـن أشـعته.. وهكـذا يكون لا جديد يذكر.. لا.. عفوا.. هناك ما هو جديـد.. فأنـا الآن فقـط قـد لاحظت أن المصباح لا يتوسط سقف الغرفة.. إمممم.. ولم أكن ألحظ أيضا أن الشباك يحتوي على 25 ضلعا عرضيا.. يا للبؤس الذي أعيش فيه.. أعـود مجـددا إلى شاشـتي فأضـغط أيقونـة التحـديث باسـتمرار لأتعجـل ظهـور «البوستات» الجديدة.. تظهر أمامي فأقرأهـا مـرة.. وأعـاود قراءتهـا مـرة أخرى حتى يظهر لي البقية وهكذا حتى أشغل بطالتي..

أفقد شهيتي لذلك الموقع، فمع احتـدام النقـاش الـسياسي والـديني وحتى الفني في أغلب الصفحات أصبح «الفيس بوك» موقعا للسب الجمـاعي وليس للتواصل الاجتماعي.. أتدحرج من أمام اللاب حتى التلفاز.. أتوقف قليلا أمام كل قناة لعلني أجد ما يـسليني.. أمـر علـى «الـسياسيات منهـا» مرور الكرام فبسبب تلك الكلية اللعينة أنا الآن في المنزل.. لا أتوقف عنـد قنوات الطبخ أو الفتاوى كثيرا حتى لا تلفـت انتبـاه أمـي فتـستحوذ علـى التلفاز فلا شيء آخر أنشغل به إن فعلت.. أتوقف عند إحدى المحطـات..

«جيد» محطة بخلاف عشرات المحطات السابقة تواكب هي الأخرى هوس المسلسلات التركية.. توقفت للحظات لأذكر نفسي كم أكره تلك المسلسلات.. وتوقفت لحظات أكثر بعدها لأتابع ذلك البطل الذي يركض لأعلم (فضولا) إلى أين منتهاه؟؟ لم تعد لحظات.. أصبحت دقائق.. فنصف الساعة.. فانتهى المسلسل وأنا أتوق للحلقة التالية.. أتوقف مرة أخرى لأفكر.. لم تكن تستهويني المسلسلات التركية فبالعادة أحارب أي شيء يسطع فجأة أو ينتشر بسرعة البرق أو يتحول إلى هوس غير مبرر، فخبرتي تؤكد لي أن ذلك الشيء عادة ما يكون رديئا.. إلا أنه وعلى غير العادة رأيت ذلك المسلسل على قدر عال من الجودة.. أو ربما بطالتي هي التي تدفعني لرؤية ذلك.. لا أدري.. فقد أصبحت هذه الأيام شخصا غير الذي أعرف.. عدت سريعا بعد تلك الخواطر لأجدد حالتي الـ«فيس بوكية» وأكتب الأغنية الخالدة «أنا مش عارفني.. أنا مش أنا»..

ما هي إلا ساعات وأيقنت أني أنا الأخرى أصبت بهوس المسلسلات التركية حفظكم الله.. فقد قررت البحث عن ذلك المسلسل على الإنترنت.. فوجدت جميع حلقاته مدبلجة بالكامل وانطلقت أشاهدها الحلقة تلو الأخرى حتى أصبحت كائنا منعزلا عن الحياة تماما لا أقوم من أمام الشاشة إلا لأحضر ما يؤكل.. وإن كنتم مما أكرمهم الله بالابتعاد عن

هذا الهوس اللعين فأخبركم أن المسلسل التركي ليس بالعادة ككذلك الذي يصنع في مصر فحين يتخطى مسلسل مصري عدد أيام شهر رمضان يفقد متعته وينفر منه المشاهد بينما المسلسلات في تركيا تتخطى الـ60 حلقة.. الحلقة الواحدة ما يقارب الساعتين.. أراهن أن الأتراك لا يتابعون مسلسلاتهم تلك.. فلو فعلوا لما كانوا الآن من أسرع دول العالم نموا.. ولما كان الاقتصاد التركي ليصل للمرتبة الـ16 عالميا بعد أزمة اقتصادية طاحنه هزت المجتمع أوائل القرن الجاري..

استمر وضعي ذلك لأيام عدة أنهي نحو 6 حلقات في اليوم الواحد.. أتنقل بين صفحات الإنترنت لأعلم المزيد على تلك المسلسلات وأقرر أيا من المسلسلات سأتابع بعدها.. وضعي هذا لا يرضي أمي بكل تأكيد.. تنتظر حتى يأتي أبي بالمساء لتشكو إليه حالي..

أذهب في اليوم التالي لاستكمال تجهيز العيادة مع أبي فبعد خطاب مطول من التهديد «بسحب اللاب» والوعيد بحرماني من العمل في منصب «السكرتارية» الرفيع.. اضطررت للإذعان لطلبهما.. متى ما عملت صباحا كان أو مساءا أستغل الوقت المتبقي في متابعة مزيد من الحلقات.. أصبح لدي شغف بالمسلسلات التركية.. أو بتركيا على الأغلب..

كلما مر منظر من طبيعتها الخلابة أقسم أني سأزورها يوما ما..

فأجد نفسي أقسم ذلك القسم كل دقيقة تقريبا..

وجدت نفسي أتمتم بداخلي فأقول، لو لم أكن مصريا لوددت أن أكون تركيا.. فأتفل سريعا على يساري وأستعيذ بالله من الشيطان الرجيم فكيف لي حتى أن يخطر ذلك على بالي؟ إنها خيانة شعورية داخلية للوطن..

لا لم يعد يكفيني بضع ساعات في اليوم لمواكبة هوسي.. أتحايل على أبي فأترك تحميل الحلقات خلال ساعات نومي وأصطحب «اللاب» معي للعيادة وأعسكر في غرفة المعمل وحدي بعيدا عن ضجة الأعمال في الخارج.. إلا أن تلك الحيلة لم تنطلِ إلا لأيام قليلة..

علمت فيما بعد أن مطعما تركيا يتجهز للافتتاح بشارعنا.. أقسمت أني سأكون أخلص زبائنه.. لم يخيب المطعم تخيلاتي.. فهو تركي الطابع من الداخل.. تأكل على أنغام ترنيمات تركية.. تشتم روائح تركية.. شديد النظافة عالي الخدمة.. يقوم بأعمال الطهي فيه خبراء أتراك.. حتى أدق التفاصيل فيه تركية..

أذكر أني أول يوم لي بالمطعم احتسيت طبقا من العدس تركي المذاق وأجهزت على طبق من المحاشي تركي الصنع و«التسبيك».. لا أدري ولكن

أصبح فجأة كل شيء بالتركية أفضل.. أشاهد التلفاز المعلق أمامي.. فإذا به يعرض صورا لتركيا الجميلة.. أقسم بأعلى صوتي أنه لو لم أكن مصريا لوددت أن أكون تركيا..

الحالة التركية التي تصدح بمجملها في المكان تجعلني أتقمص الدور باحتراف، أنادي على «الجارسون» فأستبدل «لو سمحت» بـ«ريجايدريم».. وأتمنى لمن يصاحبني من أصدقائي الاستمتاع بطعامهم فأقول لهم «آفييا توسون».. وأشكر صاحب المحل على الجو المميز بـ«تشكرلات».. تطلب مني صديقتي أن أمرر لها سلة الخبز فأخبرها أن تنتظر حتى أفرغ من لقمتي بـ«بيداكا بيداكا»..

أتابع الجرائد باستمرار.. لا ليس لمواكبة الأحوال الاقتصادية أو السياسية والعياذ بالله وإنما لأتابع أسعار الرحالات إلى تركيا.. بالتأكيد لن أستطيع تحمل تكاليف السفر خاصة بـ«مصروف الجيب» الذي سينعم به أبي علي عندما أعمل كسكرتارية بالعيادة.. لكن لعله في يوم ما.. وهو ما جعلني أشارك في جميع المسابقات التي تربحك رحلة إلى تركيا في حال أجبت على سؤال بعينه أو بعثت برسالة للرقم الفلاني أو أشترك في الخدمة الفلانية.. نعم أصبحت أشترك بها جميعها ما دامت الجائزة هي رحلة تركيا.. أصبحت أشترك فيها بعدما كنت أرى أنها رجس من عمل

الشيطان ومن يشارك في مثل تلك الهرطقات يعاني بالتأكيد من مرض عقلي ما.. أتصفح الإنترنت لوقت قد يطول لساعات لأستمتع بالمناطق الجميلة في تركيا.. أبحث دائما عن كل ما هو جديد من الأفلام والمسلسلات.. أستطيع الآن أن أسرد عليكم قائمة طويلة بأشهر المواقع الإلكترونية للمسلسلات التركية.. لكنها ليست أطول من قائمة أسماء النجوم الأتراك التي أصبحت أحفظها عن ظهر قلب فأسرد عليك تاريخهم الفني إن طُلب مني ذلك.. حاسوبي يعاني بشدة من تخمة بذاكرته الداخلية منها والخارجية.. وعيناي تعانيان أكثر وأكثر.. لكن لا أستطيع التوقف.. فبطالتي هي التي تسمح لي بذلك..

سنتر «بشاشني».. الأكاديمي

«تأتي الرياح.. محملة بالأتربة».

تمر بي أيام من تلك التي أشهد فيها نشاطا غير معتاد.. أنفض غبار الكسل من على كاهلي وأقوم صباح كل يوم بشراء جميع الجرائد التي تطبع بجمهورية مصر العربية لعلي أجد فيها طلبات توظيف تناسبني.. يقسم أبي أن يخصم من مرتبي المستقبلي ثمن هذه الجرائد ولو فعل لأصبحت مدانة له.. فالـ**400** جنيه لا تكفي لشراء نصف ما أشتري من الجرائد لكن ذلك لم يثنني فعندما أجد عملا يليق بي عن طريق أحد الإعلانات سأوفيه حقه كاملا.. هذا بخلاف أني أعلم أنه يمزح لا أكثر..

أبحث في الجريدة تلو الأخرى.. وأجمع الإعلانات جميعها.. وأرسل الإيميل تلو الآخر.. أنتظر أياما دون جدوى لكن همتي لا تنطفئ.. أتابع البحث.. أعلم أنه لن أقبل في أي وظيفة بالسهولة التي أتخيلها فشهادة البكالوريوس أصبحت مؤخرا لا تتميز عن شهادة الثانوية العامة

كثيرا.. وجدت إعلانـا يـشترط بالأسـاس خـريجين جـددا للعمـل بإحـدى المؤسسات الإعلامية.. ثوان وكان الإيميل قد أرسـل فعليـا لهـم.. سـأقولها سريعة فقد مللت.. لا جديد.. مـا زلـت أنتظـر.. أصبحت قـائمتي مـلأى بالانتظارات فها أنا أنتظر شيئا آخر..

لفت نظري وأنا أقلب صفحات الجرائد ذات صباح أن هناك إعلانـا لشركة أعلم أني قد رأيت شعارها في منطقـة مـا قريبـة مـن هنـا.. أطـرق جمجمتي بقبضتي لعلها تتفتح.. ومَن بالـداخل لا يجيـب.. أطرقهـا مـرة أخرى.. فكان لا بـد للـداخل أن يجيـب وإلا بليتـه بـصداع لـن يـذهب إلا بحمام دافئ وقرصي أسبرين.. إنه ذلك المركز التعليمي الذي بالدور الأول أسفلنا.. يعلن عن وجود وظائف شاغرة لديه.. لا يفوتني أن أقـول لكـم إن ذلك السنتر يعلن عـن نفـسه بوصـفه مركـزا أكاديميـا متخصـصا في إعطـاء الكورسـات المعتمـدة دوليـا لكـن في الحقيقـة مـا هـو إلا سـنتر للـدروس الخصوصية لطلبة الجامعة.. لديهم قـدراتهم الخاصـة في «رشـوة الـدكاترة الجامعيين» للحصول على نسخة من الامتحانات وهـو مـا يجعـل النجـاح آخر العام معهم مـضمونا.. الـسنتر التعليمـي مـن النـوع الـذي يقـوم فيـه الشخص بأكثر من مهمـة في الوقـت نفـسه كعـادة بعـض الأشـياء في مـصر والتي لم أكن أصدقها حتى رأيتهـا بـأم عـيني.. فـأن يعطـي أسـتاذ بكليـة

الإعلام دروسا في السياسة قد لا يكون ذلك محل استغراب.. خاصة بعد أن أصبحت السياسة شبيهة بكرة القدم، كل من في مصر خبير فيها.. لكن أن يكون المحاسب المالي الخاص بالسنتر هو نفسه أستاذ الإعلام الذي يعطي أيضا دروسا بالفنون التطبيقية والهندسة المعمارية فتلك مصيبة ينفرد بها هذا السنتر وحده.. لكن لا مشكلة في النهاية ترسل إليهم نسخا من الامتحانات بإجاباتها النموذجية أيضا فما على الأستاذ إلا أن يمليها عليهم وهو ما يستطيع طالب بالإعدادية عمله على أتم وجه..

جال في خاطري أن أقدم على التقديم لهذا العمل فأنا بالأساس كنت أود أن أكون معيدة بالجامعة.. ثم إن لدي تاريخا عريقا في شرح المناهج لزملائي فلم لا.. أعلم أني إن عملت معهم لن أشرح شيئا ولن أكون كما حلمت دوما تلك الأستاذة التي يعشقها جميع الطلاب ولا يستغنون عنها أبدا فهي دائما بالخدمة إن واجهتهم مصاعب دراسية.. أعلم أنه لن يخرج عملي عن مجرد إملاء الامتحانات والملخصات عليهم.. لم أكن لأرضى بهذا التلويث الصارخ لشرف مهنة التدريس ولكن ذلك كان في الماضي، فبطالتي تسمح لي بقبول ذلك الآن..

لكن هناك مشكلة فد. بشاشني مالك السنتر أسفلنا قد لا يقبل بذلك.. هو يعلم أني ابنة الطبيب الذي يجهز عيادته فوقهم مباشرة..

وتلك هي المشكلة.. فلو أنك تكره أحدا سرق منك إحدى الصفحات التي أسستها على الفيس بوك واقترب عدد متابعيها على المليون لما اقترب ذلك من كره د.بشاشني لأبي ولو بجزء ضئيل.. ولو أن امرأة تحقد على ضرتها تلك اللعوب فاحشة الجمال التي سرقت منها زوجها لما جابه حقدها حقد د.بشاشني لأبي.. فد.بشاشني كان في السابق يؤجر العيادة من أبي ويقوم بإعطاء الدروس فيها وكانت لكبر حجم العيادة يستطيع أن يشغل بها أكثر من 7 دروس في الوقت الواحد فكان العمل يجري ويتطور بسرعة فائقة تماما كسيارته فبعد الـ128 إذا به يشتري سيارة صينية الصنع ثم تطور الأمر فأصبحت إحدى السيارات الكورية.. فإحدى السيارات رباعية الدفع.. حتى انتهى به الأمر لشرائه سيارة من تلك التي تتخطى حاجز الربع مليون.. ولكن بعد أن قرر أبي تجهيز العيادة تمهيدا للعمل فيها انحصر عمل السنتر التعليمي على الثلاث قاعات التي بالأسفل.. ورأيناه في الشهر التالي قد باع السيارة الفارهة فربما لم يستطع أن يوفر قسطها الشهري.. والأسوأ من ذلك أن جميع العقارات المجاورة للسنتر التعليمي في حالة الإشغال فلا مجال للانطلاق من موقعهم ذلك.. فكلما ضاق به المكان ثقلت كفة حقده على أبي.. حتى إني أذكر أنه أتى لأبي ذات يوم يبارك له عمله في العيادة أو هكذا وصفها هو.. فقد دنا من أبي وعيناه

تجوب أطراف العيادة:

– ألف مبروك يا دكتور..

– ربنا يبارك فيك يا بشاشني..

– قلت أعدي عليك بس وأبارك..

– فيك الخير والله ربنا يبارك ليك وعليك..

– إلا يا دكتور قولي هو انت لو العيادة ما مشيتش معاك هتأجرها..

– ليه بس كده يا بشاشني إن شاء الله تمشي يا بشاشني..

– آه لا طبعا من غير مقاطعة مش قصدي بس يعني لو معرفتش تمشيها يبقى إحنا أولى بيها مش كده ولا إيه؟؟

– إن شاء الله هنعرف نمشيها يا بشاشني..

– يا رب أنا اتمنالك الخير.. بس المشكلة إن فيه عيادة فاتحة في وشنا وهتبقى فرصتك مش قد كده.. مش كنت فضلت تشتغل بره.. الشغل هنا في مصر صعب أوي يا دكتور..

– إحنا هنسعى يا بشاشني وكله على الله..

– ونعم بالله، بس جالك كلامي لو لاقيت العملية مش ماشيه إحنا

بينا عيش وملح برضو ما تستكترهاش على أخوك.. سلامو عليكم..

ومنذ ذلك اليوم لا يتفاءل أبي ولا نحن بسلام د.بشاشني أو حتى بابتسامته ولا حتى بطلته ولا بأي شيء يتعلق به.. وهنا مشكلة أخرى فكيف لي أن أقنع أبي بالعمل في «سنتره».. كانت جرعات الحماس زائدة في عروقي هذه الأيام فكثير من المشاكل وكثير من القلق حول ما ستفضي إليه الأمور، لم يكونا ليمنعاني من ذلك.. وبالفعل قابل أبي الأمر بعدم ترحاب كبير ولكنه ما أن رأى الحماسة تكاد تقفز من عيني حتى تقبل الأمر على مضض واعدا إياي بالتصرف بالأمر.. وهو ما فعله أبي في اليوم التالي حين أرسل في طلب عم عبده حارس البناء ليسأله إن كان بإمكانه أن يتقصى التفاصيل من دكتور بشاشني حول تلك الوظيفة دون أن يذكر أمامه اسم أبي لا من قريب ولا من بعيد.. كنت أعلم أن أبي لن يطلب من دكتور بشاشني شيئا أبدا فها هو يحاول من الطرق الملتوية.. وعم عبده لا يفوته أمر كهذا فقد استوعب تماما ما يلمح إليه أبي.. عاد عم عبده بعد قليل من الوقت ليبشر أبي بما فعل فكانوا هم يتحدثون في إحدى الغرف وكنت أنا أستمع من الخارج:

– أيوه يا دكتور عرفتلك قرارهم.. ده هو عايز مدرسين لأنه طرد كام واحد كده نصبوا عليه وبقوا بيسربوا الامتحانات اللي عنده لسناتر

تانية..

- إمممم طب ما يجيب معيدين من الجامعة.

- وهو مش لاقي حد من المعيدين اللي في الجامعة يدوا عنده رئيس الجامعة الجديد من ساعة ما مسك وهو قافش عليهم..

- طب ما يجرب يعين أوائل الكليات السنة اللي فاتت.

- والله مش عارف بقى هو ناوي على إيه؟؟ بس إلا يا دكتور هيا الودموزيل مش برضو خريجة وأوائل وحاجة بسم الله ما شاء الله.. أصل لما دكتور بشاشني قالي إنه عايز في إعلام ولا مش عارف إيه كده قلتله على المودموزيل..

- إمممم لا هيا تشتغل معايا قدامي هنا أحسن.

- مهو برضو في السنتر يبقى قدامك يا دكتور وهو برضو شغلانة حلوه وبتكسب.

- خلاص ابقى خليني أعرض عليها وأبقى أشوف كده.

يوم ونصف اليوم وها هو دكتور بشاشني أمام باب العيادة.. يتحدث مع أبي ويخبره أنه يرحب بعملي لديه.. يبدو أن عم عبده قد قام بواجبه على أكمل وجه.. إنه خدوم فعلا.. لم تكن لفرحتي أن تكتمل

فدكتور بشاشني لا يستحي أن يطلب تأجيره لإحدى غرف العيادة مقابل أن أعمل لديه.. هي فكرة ترويجية لا بأس بها فدخول الطلبة وخروجهم من وإلى العيادة يحدث شيئا من انتعاش الأجواء الدائم لكنها ليست مهنية على الإطلاق.. كان الأمر عند أبي غير قابل حتى للنقاش ولكن يبدو أن دكتور بشاشني بحاجة ماسة لتلك الغرفة فعرض عليه زيادة مرتبي ودفع إيجار الغرفة أيضا، على أن لا يستخدم الغرفة وقت عمل أبي بالعيادة.. أعلم تماما أن هذا كثير على أبي ليتحمله، ولولا أني بحاجة ماسة إلى هذا العمل لكان أبي قد أنهى البت في الأمر قبل حتى أن يبدأ وأخي كان ليهشم وجه دكتور بشاشني قبل أن يكمل جملته.. وبينما نحن في أوج المساومات إذا بهاتفي يتراقص بين يدي.. أنظر عبر شاشته فإذا بأحدهم يتصل لكن رقم الهاتف لا يظهر.. فتحت الخط فورا.. أبتعد قليلا ليتاح لي سماع من بالطرف الآخر.. تعرفني بنفسها فإذا بها إحدى موظفات تلك المؤسسة الإعلامية التي انتظرت ردها طويلا على الإيميل فأبلغوني أنه تم تحديد ميعاد للمقابلة وهي باليوم الفلاني بالساعة الفلانية..

أنظر لأبي والابتسامة تعلو وجهي وأعود فأدخل المحادثة مرة أخرى وأقول لد. بشاشني:

- والله عموما يا دكتور إحنا مش هيناسبنا عرض حضرتك الحقيقة وفي الآخر أنا برضو مش محبذة أوي إني أشتغل شغلانة تانية..

علامات الاستفهام تعلو وجه أبي لكني ما أن أشرت له أن يتروى حتى وافقني على قولي وانصرف دكتور بشاشني وما أن غاب عن الأنظار حتى انفجرت من السعادة، أقفز على أبي أحتضنه وأقبله وأنا أهتف:

«قبلوني قبلوني يا بابا».. أخي يقترب ليشاركني الفرح وعبارات من المباركة يرددها علي أبي وأخي..

- «هيا دي المؤسسة اللي كنت مستنياها هو التليفون ده منها؟».

- «أيوه يا بابا كلموني وقالوا إنهم عايزين يعملوا إنترفيو»..

- «آه يعني لسه ما تقبلتيش وعماله يختي تفرحي وتتنططي»..

أكره أخي حين يكون واقعيا.. يقاطعه أبي:

- «إن شاء الله تتقبل، قالولك الإنترفيو امتى؟».

- «آه الأحد اللي جاي الساعة 10».

- «مكانهم فين بقى»..

- «.. نعم؟؟!!!».

- «مكان المؤسسة؟».

- «تصدق يا بابا معرفش».. هنا فقط بدأت أشعر بسخونة تتسحب من جسدي حتى تتجمع في رأسي.

- «طب كلمي الرقم اللي كلمك كده»..

- «الرقم برايفت مش بيظهر».. هنا بدأت السخونة ترتفع أكثر حتى أصبحت كافية تماما لتجهيز طبق عائلي من البيض المقلي.. نظرت إلى أبي في فزع وأنا أحاول استيعاب الأمر في حين ركض أخي نحو الباب وهو يصرخ في سخرية متعمدة: «دكتور بشاشتي.. دكتور بشاشني.. تعال وربنا كنا بنهزر معاك»..

رحلة سياسية

«لقد توصلت إلى قناعة مفادها أن السياسة أكثر جدية من أن تترك للسياسيين».

شارل ديجول

إنها الأيام البغيضة التي لا يتبقى لنا على بدء العمل بالعيادة إلا أن ننتظر استخراج (تصريح مزاولة العمل بالعيادة) وخلافه من العمليات الروتينية التي أمقتها بشدة.. ولولا أن أبي هو من تكفل بها لكنا انتهينا منها في أيام معدودات.. فأبي من النوع الملتزم الذي لا بد أن يسير وفقا لإشارات المرور حتى وإن كان الطريق خاليا من المارة والسيارات وربما «الإشارات» أيضا، فمن نفس المنطق هو يأبى أن يدفع لأحدهم 20 جنيها لكي ينهي المعاملة في يومين لا أكثر فمن وجهة نظر أبي إنها مسألة مبدأ.. وكيف لنا أن نوفق ونحن نبدأ أعمالنا بالرشوة..

إنها أيام من الانتظار أخافها بشدة.. أخاف أن تعيد لي أزماتي

النفسية ونوبات الاكتئاب التي لازمتني من قبل.. أيام الفراغ التام هذه تذكرني بأيامي التي لم أكن أفعل شيئا آخر سوى استجداء جواب التعيين.. كان تجهيز العيادة يشغلني عن انتظار جواب التعيين وها أنا الآن أنتظر بدء العمل بالعيادة بالإضافة لانتظار التعيين.. وقررت أن أنشغل عن الانتظار الأول والثاني بالاهتمام قليلا بالائتلاف السياسي الذي كنت قد شرفت بالاشتراك بتأسيسه.. لا أخفيكم سرا أني وعلى الرغم من أن هذا الائتلاف لا يتجاوز «الـ20 نفرا» إلا أنني فخورة به جدا.. فهو أول عمل لي في المعترك السياسي.. فأنا قد تخرجت من قسم السياسة وأمنيتي أن لا أعمل بمنأى عن مجال دراستي.. فعملت على إنشاء هذا الائتلاف لعلني أجد فيه جوابا لأمنيتي..

كنت قد عُينت رئيسة للجنة السياسات في الائتلاف وقد تنبهت فيما بعد إلى أنني العضو الوحيد فيها أيضا.. كما أن الائتلاف لا يحتوي إلا على 3 لجان «اللجنة السياسة» بقيادتي وعضويتي.. و«اللجنة الإلكترونية» وتضم عضوين.. و«اللجنة الإعلامية» وهي تضم الـ18 عضوا الآخرين.. منهم 12 متحدثا رسميا باسم الائتلاف؟

في أحد الأيام قررنا أو بصيغة أدق قرروا أن نذهب للقاء السفيرة الأمريكية والاجتماع معها لمناقشة تطورات الأوضاع في العلاقات المصرية

الأمريكية.. وقتها أحسست أنهم يتحدثون عن مجلس إدارة مركز شباب كفر أبو عياط هذا إن كان لذلك المركز وجود.. ولكن لم أجد غضاضة في ذلك «فبطالتي تسمح بذلك».. انطلقت في اليوم التالي أنا ومؤسسو الائتلاف للسفارة الأمريكية.. خواطر انتابتني في الطريق.. جميل هو شعورنا الوطني الذي وحد شتاتنا نحن الـ20 وجمعنا من غير ميعاد ولا سابق معرفة.. مواطنون تجمعوا على قلب رجل واحد لخدمة البلاد.. فها هو «راشد وزوجته أماني وابنته».. وبجوارها «منى وأخوها أحمد» وفي المقعد الخلفي «مي وابنتها وأخت جوزها» يتسامرون.. «أحمد وخطيبته» يراجعون الميزانية (إنها ميزانية الزفاف عزيزي القارئ.. فالائتلاف على «الحديدة» ولا أذكر يوما أنا كنا على غيرها).. بجوارنا يجلس صديقنا حسام وأنا وأخي ندعو الله أن يتم هذا المشوار على خير فالبيت بعيد جدا عن وجهتنا و«إحنا عايزين نروح بدري».. ثم يقطع أفكارنا مروان صديق أخي يستحلفه بالله أن يذهب أخي معه إلى المنزل في العودة فوالدته «عاملة صينية جلاش تستاهل تاكل صوابعك وراها».. قاطعتنا مي مطالبة كلا منا بالخروج من عالمه الخاص وتصويب الأنظار حولها فلا بد من توحيد الكلمة حول قائمة الطلبات التي سنمليها على السفيرة الأمريكية لتنفيذها نزولا على رغبات الشعب؟!

نعم لم ينته الأمر كما تصورنا ولم نفلح في تتمة الاجتماع.. ولا أدري كيف كان لنا أن نتصور غير ذلك.. إلا أن ذلك لم يفسد اليوم فميادين «معدودة» و«بعض» الشوارع تفصلنا عن حديقة الأزهر.. وما هي إلا 3 ساعات لا غير حتى وصلنا الحديقة.. وانطلقنا حيث أكملنا رحلتنا العائلية هناك..

أخذنا الحديث ونحن في حديقة الأزهر إلى مناطق كثيرة ومواضيع مترامية وأخرى لم نكن نتخيل أن نتحدث عنها يوما «كأن الحمار يستطيع أن يرى أرجله الأربع باستمرار أيا كانت وضعية رأسه.. وأن الموز علميا يعتبر من الأعشاب» استفضنا في الحديث كثيرا وأبحرنا في عرض الكتب والمواضيع إلا اللهم موضوع التبرع بدخل شهري للائتلاف الذي توقف الحديث عنده وقررنا عندها حل الائتلاف مع اعتبار صاحب الاقتراح أحد الفلول الناهبين لثروات البلاد ومن سوابق الاختلاس..

في عيادتنا زفاف

«العروسة للعريس.. ومالناش إلا التحنيس».

زفاف ابنة خالتي يقترب تزامنا مع قرب انتهاء أعمال «التوضيب» في العيادة أو أنها قد انتهت بالفعل.. هذه الأيام أنا في مزاج أكثر من ممتاز على الرغم من أني أعلم أني على شفا مواجهة أتعس أيام حياتي بعد ذلك فبعد أن ينقضي فرح ابنة خالتي وبعد الانتهاء من «توضيب» العيادة أتوقع أن تعاودني آلامي بتبخر حلم التعيين في الجامعة فأعود مرة أخرى لحفر الاكتئاب العميقة فأدفن نفسي فيها.. إذن فلأستمتع باللحظة قدر المستطاع..

أسبوعان تقريبا على ميعاد زفاف ابنة خالتي وأعمال الترميم فيها أقصد وأعمال تحضيرها للزفاف تجري على قدم وساق.. أوقفت العمل مع أبي مؤقتا فابنة خالتي كأخت أخرى لنا لا ينبغي أن أنشغل عنها وعن زفافها بشيء بالإضافة إلى أنه لم يبق سوى بضع مهمات صغيرة

يستطيع أبي وحده التكفل بها..

الشمس تغيب وتشرق والفرح يقترب أكثر.. حتى تبقى من الزمن 4 أيام.. خطيب ابنة خالتي مكلف بمهمة محددة في هذا اليوم لا ينبغي له الانشغال بغيرها.. ألا وهي مراجعة جدول أعمال اليوم المنشود بدقة والتأكد من أن كل شيء على ما يرام وهو ما كان فعلا.. المطعم وقد استعد لذلك اليوم.. صالون التجميل النسائي كان أو الرجالي قد تم التأكيد على الموعد المتفق عليه وكذلك المصوراتي والمسئول عن تزيين السيارة والفرقة الموسيقية و.. و.. و.. تسير كل الأمور على ما يرام.. أو كذلك اعتقدنا.. فقد امتقع لون خطيب ابنة خالتي فجأة وتلعثم.. هو لم يعد يستوعب ما يجري على الجهة الأخرى من الهاتف، انتبهنا جميعا أن هناك خطأ ما يحدث.. أغلق الهاتف المحمول ونظر إلينا والصدمة قد تمكنت منه حقا وقال وهو يزيد في تلعثمه: بيقولوا ما فيش حجز قاعة باسمنا.. مصيبة، فلم يكن هناك خطأ ما في الحجز يمكننا تداركه، بل إنه لم يكن هنا حجز من الأساس.. سيكون أخوه الآن في عداد الأموات بالتأكيد فلم يكلفه بشيء إلا حجز هذه القاعة في ذلك النادي الفاخر.. التابع لنقابة الصحفيين.. مع كل ما نعانيه من الضغط الطبيعي الذي يكون قبل الأفراح كان هذا آخر ما ينقصنا، فالفرح الآن مهدد بالإلغاء أو حكم عليه بذلك فعلا..

نبحث هنا وهناك.. نتصل بهذا وذاك لعلنا نسعف الأمر سريعا.. أربعه أيام ليس إلا.. إن لم نستطع العثور على مكان شاغر خلال يومين فقط فلن يقام العرس حيث لا مجال لتبليغ المعازيم وتغيير الخطط في الأيام المتبقية..

لم نترك مكانا في المحروسة يمكن إقامة الفرح فيه، كافيهات، حدائق عامة، بيت أحد الأقرباء أو حتى قاعة متاحة في إحدى مدارس تعليم الرقص الشرقي إلا وبحثنا عنه.. بدأ يتسلل (لا ليس التوتر فهو لم يفارقنا منذ عدة شهور) وإنما اليأس هو الذي بدأ يتسلل بداخلنا نحن العائلة ولك أن تتخيل الحالة التي كانت عليها ابنة خالتي وعريسها.. جلسات من المواساة ننعاهم فيها فرحهم الملغى.. محاولات على استحياء لإطلاق الضحكات لعلنا نخفف من وقع الموقف الصادم عليهما..

- تصدقي ربنا أنقذك كنتي هترتكبي جريمة في حق نفسك يا بنتي هههه (كانت تلك تعبر عن مفهوم المواساة لدى أختي الكبرى).

- تقريبا كده (تحاول ابنة خالتي جاهدة أن تصنع ابتسامة على شفتيها في حين أن خطيبها يرمقنا بنظر من تلك التي لو كانت تقتل لفعلت).

- بصي يعني انتي إيه تروحي تحمدي ربنا إنه اتلغى (لو أني أستطيع إلقاء أختي من الشباك لفعلت)..

- اللي كاتبه ربنا هيمشي، ده احنا دورنا في كل حتة كان ناقص بس نعمله في العيادة ههههه..

هنا انطلقت ضحكة خافتة على ما قالته أمي إلا أن الضحكة قطعت فجأة لينظر أحدنا للآخر في نظرة تقول «هل تفكر جديا فيما أفكر فيه».. هنا صدرت مني صرخة «لا لا.. لا.. انسوا مش هتعملوا الفرح في العيادة.. ما صدقت أنها نضفت»..

أفكر جديا في أنه لو أرادوا إقامة الفرح في العيادة سيكون الأمر كارثيا.. نحن قاب قوسين أو أدنى من بدء مزاولة العمل فيها.. كيف للمرضى أن لا يرتابوا من عيادة تستهلك لكافة الاستعمالات، وكيف لي أن أأمن أن تخرج العيادة من هذا الفرح بسلام، خاصة أن الجزء الأكبر من عائلتنا أطفال تحت الثانية عشرة.. لا، هم ليسوا أطفالا هم أقرب للشياطين منهم للأطفال..

ولكن.. مع كل الوجوه البائسة التي أرى أمامي كان لا بد لي أنا وأبي أن نضع حساباتنا جانبا ونرضخ لنظرات الرجاء التي تملأ العيون..

تغيير «الإيفينت» على الـ«فيس بوك» من «الفرح في قاعة الكاميليا» فأصبح «الفرح في العيادة».. شرعنا في التجهيز بأسرع ما يمكن.. وضعنا عفش العيادة جميعه في غرفة المعدات وأحكمنا إغلاق الباب عليه بكل أنواع الأقفال الممكن شراؤها.. بدأنا تجهيز كوشة بسيطة وزينا العيادة ببعض الورود هنا وهناك، استأجرنا بعض الكراسي واتفقنا مع «دي جي»، وأنهينا بعض اللوازم الأخرى..

صباح يوم العرس ألقي نظرة على العيادة التي أصبحت قاعة أفراح فاخرة، فعلى الرغم من جغرافيتها غير المفهومة إطلاقا إلا أن مساحة العيادة الكبيرة أطلقت العنان لإبداعاتنا فخرجت على هذا النحو المبهر.. حقا يجب أن أفكر جديا في أن أعمل كـ«wedding planer» ففي جميع الأحوال مهارتي تتخطى نظيرتها عند جينيفر لوبيز.. فكل شيء سار على ما يرام بأقل تكاليف وفقا لتوجيهاتي، كما أن بطالتي الحالية تسمح لي بالتفرغ لذلك.. علي أن آخذ هذه المهنة في الاعتبار..

الرومانسية تصدح في الأجواء والعيادة تكتظ بالمعازيم.. أعرف معظمهم وبعضهم لا أعرفه وقليل لا نعرف ماهيتهم.. فقد جاءتنا عائلة اعتقدنا أنهم أهل العريس وأهل العريس اعتقدوا أنهم أهل العروس لكن لا يهم فقد أضفوا جوا مميزا على أي حال.. والـ«دي جي» هو الآخر يبدع

حقا فقد «عنبنا» و«بلحنا» و«أسمكنا» وقد «أحببنا الحمار» و«نادينا على زكي وعلي» و«تمرجحنا في الدنيا يوم تحت وفوق»..

أنظر من الشباك فإذا بالمارة أعينهم صوب العيادة يتساءلون عما يجري بالأعلى.. بعضهم أخذه الفضول إلى أن يصعد فيرى بأم عينيه ما يحدث.. لا يهم إن قرءوا أنها عيادة لطب الفم والأسنان ثم وجدوا الفرح قائم فالفرحة التي ننتشيها جميعا كافية لتمحو جميع الآثار السلبية، كما أنه يكفي أن يعلم جميع المعازيم وجود عيادة لعلاج الأسنان على وشك أن نزاول العمل فيها.. لا يهم إن لطخ أحد الملاعين الصغار الحائط بيديه المتسختين غدا سأنظف ما لوثوه فبطالتي تسمح بذلك.. حتى وإن انسكبت الكولا أو غيرها من الغازيات سأنظفها لا يهم فبطالتي تسمح بذلك.. أعلم أنه سيستوقفني كل شخص أقابله لمدة أيام بعد ذلك ليسألني عما كان يحدث وما سر هذه الضجة لا يهم فبطالتي تسمح بذلك.. سعادة ابنة خالتي وعريسها لا توصف.. جو كبير من العاطفة والدموع والفرحة تجعلني أفكر متى سيكون لي يوم كهذا.. نعم يوم يخصني أنا.. لم لا.. فأملأ مخيلتي بالأحلام الرومانسية.. فبطالتي تسمح لي بذلك..

هلاوس اليقظة

«أحذركم من عاقبة الفراغ فإنه أجمع للأبواب المكروهة من السُّكر».

عمر بن الخطاب *رضي الله عنه*

كان فرح ابنة خالتي ساحرا.. لا أتحدث عن شموع تتراقص في المكان فلم تكن تلك موجودة.. ولا أتحدث عن ألحان رومانسية خافتة رقيقة تطرب الآذان فلا أعتقد أن هذا الوصف ينطبق على «العنب» أو على «النهارده فرحي يا جدعان».. لا لم يكن هناك موائد ملأى بالكريستالات وبأفخم المأكولات.. ولكن كان هناك حالة من السعادة المفرطة التي لا تنبع إلا من منطقة عميقة في قلبك تعادل عمق «بدروم» أحد البيوت التي تقبع في إحدى المناطق التي تضربها الأعاصير.. وجه ابنة خالتي وهو يضيء فرحا كان ساحرا.. نعم لقد استحقت هذه اللحظة فمنذ ارتباطها لم تكن لتستريح ليوم.. تخرج منذ الصبيحة تركض هنا وهناك.. تحاول استكمال

تجهيزاتها وتعود بالليل طريحة الفراش.. بدأت أفكر أنه منذ ذاك اليوم لم تعان من الفراغ.. أفكر لو أني كنت أجد ما يشغلني تماما كما يشغلها.. أفكر ماذا لو أتى من يملأ فراغي بأحاديثه ومواقفه فيسرد علي قصصا من حياته، من يبدل تعاستي حيوية ونشاطا وذهابا وإيابا، من يوفر لي عملا مرموقا بطريقة ما عند عمه أو خاله.. أو عند «صديقته» حتى لا يهم، وأجد نفسي أخيرا أعلم وجهتي.. فيكون هو وجهتي، يدلني عن طريقه فيصبح طريقي طريقه، فطريقي الخاص حاليا مسدود مسدود مسدود، أعلم تماما أن ما سبق لا يمكن حتى أن يتوفر في روميو ولا حتى عنترة ولا مجنون ليلى ولا حتى جميل بثينة ولا حتى «دبور داليا» أو «لمبي كوته».. ولكن لعله يكون شيئا قريبا من هذا أو ذاك.. أفكر خلال مسيري في الشارع ماذا لو كان نصفي الآخر حولي في مكان ما يراقبني وأنا لا أدري..

أنظر حولي.. فتقع عيني على المعلم سامي.. أتفل على يساري ثلاث مرات وأستعيذ بالله من الشيطان الرجيم.. يكفي انعدام النظافة في مطعمه ليعطيني فكرة واضحة عن ماهيته، إضافة إلى أنه متزوج ولديه من الأطفال ثلاثة تماما كعدد كروش بطنه..

أسرع في صعودي الدرج لعل الأوساخ التي في مخيلتي تسقط مني سهوا.. لكنها تأبى أن تسقط. يدلني عقلي على أنه أسرع طريقة لإزالة

ذلك الاتساخ أن أنظر حولي مجددا فأشغل مخيلتي بأحد آخر.. مهما يكن سيكون أفضل من المعلم سامي في أسوأ تقدير.. هنا يقطع تفكيري من يقول «سلام عليكم».. إنه دكتور بشاشني.. لا لا ليس دكتور بشاشني.. الآن فقط أدركت أن هناك من هو أسوأ من المعلم سامي.. فإن كان المعلم سامي منعدم النظافة.. فدكتور بشاشني منعدم الذوقيات والأخلاقيات.. ثم إنه لا يمت بصلة لمجنون ليلى ولا لجميل بثينة هو أقرب لعتريس فؤادة.. لم أستطع حتى أن أرد السلام.. أصعد سريعا لأجلس على الكرسي خلف مكتب السكرتارية.. قلبي يكاد يقفز من بين ضلوعي.. أحاول جاهدة التقاط أنفاسي بعد أفلام الرعب التي جلبتها مخيلتي الفاسدة.. ثم أقرر أن لا أنظر إلى أي مكان آخر غير أسفل قدمي.. أمدد جسمي على المكتب أمامي وألف يدي حول رأسي وأغمض عيني وأدسهما في إحدى كفوف يدي.. أغمضهما أكثر وأكثر.. وأعود فأغمضهما أكثر..

يدخل أحدهم عبر باب العيادة.. وإذا بعيني تتفتحان مجددا.. أجد نفسي لا إراديا أخرج من تقرفصي.. عيناي ترافقانه منذ أن دخل من الباب وحتى استقر أمام مكتبي.. أحاول أن أتفحص ملامح وجهه.. أشعر أني قد رأيته سابقا.. يسألني عن إمكانية الكشف على أسنانه.. أنا لا أستطيع حتى التركيز فيما يقول.. يعيدها مرارا فأجيبه أخيرا.. أخبره

بأن هناك مريضا بالداخل وليتفضل بالانتظار قليلا.. يبتسم ابتسامة خافتة تخلع قلبي من مكانه بالفعل.. ينظر إلي فيبتسم بين الحين والآخر.. لا تفوتني ابتسامته.. فأنا لا أنظر إلى مكان آخر إلا مكانه.. يخرج من بالداخل.. فأطلب منه أن يملأ البيانات في ملفه الخاص به.. يتقدم نحوي بتلك الابتسامة السابقة نفسها.. تقع عيني على اسمه.. نعم إنه هو كنت أعلم ذلك.. إنه ذلك الشخص الذي يقدم ذلك البرنامج بالتلفاز.. يا لابتسامته القاتلة.. كيف جاء إلى عيادتنا.. يبتعد شيئا فشيئا وهو يتجه نحو غرفة أبي ليتلقى العلاج.. أنظر إلى ذلك الباب باستمرار أنتظر أن يخرج في أي لحظة.. أخبئ المرآة في أحد الأدراج وأخرجها بين الحين والآخر لأتأكد من أن كل شيء في وجهي على ما يرام.. أصبحت أنظر إلى المرآة كل دقيقة.. ألقي النظرة تلو الأخرى.. وبين النظرة والنظرة.. نظرة أخرى ثالثة.. أمسك بأحد الكتب ذات المجلدات السميكة وأدعي قراءته لعله يلتفت لشغفي الثقافي «اللحظي» عندما يخرج.. هه، خرج أخيرا من هناك.. ينهي حسابه المالي وينظر إلى الكتاب الذي أمسك به.. يبدي إعجابه بالكتاب.. نقف لدقائق أخرى قليلة نتكلم عن محتوى ذلك الكتاب السياسي.. أذكر له بين طيات الحديث أني تخرجت من قسم السياسة.. هو لا يستطيع إخفاء استئناسه

لحديثي.. ينتهي الحديث ولا تملك عيناي إلا أن تودعه حتى الباب.. متمنية أن له دوام الألم الشديد في أسنانه فيضطر للعروج على العيادة كثيرا فلا أحرم من طلته تلك..

تمر الأيام فأخرج مع العائلة لذلك المول التجاري الكبير.. نتناول الغداء سوية وإذا بأحدهم يقول «بعد إذنكم ممكن آخد الكرسي».. يتوقف فجأة عن الحديث.. وأتوقف أنا بدوري عن التنفس.. إنه هو ذلك المقدم المعروف.. مرت دقائق من التعارف بينه وبين العائلة.. هو قادم مع أحد زملاء العمل.. يقفون هناك لا يجدون طاولة فارغة ليجلسوا عليها وإذا بأبي يعرض عليهم مشاركتنا في جلستنا.. ياااه كم أحبك يا أبي.. نتجاذب أطراف الحديث.. مجمل حديثنا كان في السياسة.. لا يهم إن أخذ قلبي يخفق بشدة كلما تحدثت معه مجددا.. لا يهم إن تحدثنا في السياسة التي أصبحت أكرهها.. فإني بنقاشي معه أحب لحظاتي أكثر فأكثر.. ما عاد للاكتئاب وجود فلم يعد له معنى.. وجود ذلك الشخص أمامي كفيل بأن يزيل أطنانا من الاكتئاب من على قلبي.. أراه ينظر تجاهي بين الحين والآخر.. سواء كنت أنا من أتحدث أم لا.. أراه يبتسم تلك الابتسامة التي لا ينبغي له تكرارها كثيرا فهي تضر بدقات قلبي وتحدث فيه اضطرابا شديدا.. بالإضافة إلى أني قد حفرتها في ذاكرتي فلا

أنساها أبدا.. هو لا يفوت فرصة إلا ويثني فيها على عقليتي وذكائي.. وأنا بدوري لا يفوتني أن أزيد من الشعر بيتا فألقي عليه المزيد من آرائي وأفكاري المبهرة.. حتى انتهى بنا الحديث وهو يطلب من أبي أن يأذن لي بالانضمام لفريق إعداد برنامجه.. وهو ما جعلني أتيقن أنه ليس مستحيلا كما اعتقدت أن ألتقي بفارس أحلامي، فيبدو أن روميو قد وجد طريقة إلى بلدنا أخيرا أو لربما كان لروميو أحفاد هنا..

تأتي الأيام وتذهب ولا يذهب خياله من أمامي.. منحتني الأيام معه بعضا من اللحظات القليلة السعيدة.. فجمعتني به بالمصادفة مرة حين كان يعبر الشارع وكاد أن يتسبب لي بحادث سير فلم أر الشاحنة وهي تعبر أمامي.. وبالاتفاق مرة أخرى حين حجز معادا آخر لمعالجة أسنانه.. صحيح أن الأيام ضنت علي إلا بقليل من الدقائق لكنها كانت كافية بالنسبة لي..

أستيقظ ذات صباح.. وكعادتي يكون هاتفي أول ما ألقي ناظري عليه.. سيل من المكالمات الفائتة جاءتني من صديقاتي.. لم أستوعب ما يحدث.. أحدثهم جميعا فإذا بهم يصرون على أن أرافقهم في نزهة إلى المول التجاري.. هل اليوم هو عيد ميلادي.. لا ما زال 4 شهور على ذلك اليوم.. هل جاءني جواب التعيين.. لا أظن فاحتمال أن يكون يوم عيد

ميلادي يأتي مرتين في العام أقرب للتحقيق منه إلى جواب التعيين.. نذهب جميعا في المساء إلى ذلك المول التجاري.. لا أدري ولكن تصرفات صديقاتي اليوم غريبة جدا.. لا يهم.. اقترحت إحداهن أن نذهب لتناول الطعام ولم تكمل اقتراحها حتى وجدتهن جميعا يؤيدنها وبشدة.. جميعهن لا يرغبن في متابعة التسوق في المول فلم أتمكن من الاعتراض.. نتناول طعامنا وكل واحدة منهن تنظر إلى الأخرى وهي تبتسم ابتسامة خبيثة يتعمدن أن يخفينها عني.. الآن فقط لم يعد باستطاعتي السكوت أكثر.. «لا بقى إنتو والله مش طبيعيين النهارده هو فيه يا بت انتي وهيا».. يغرقن جميعهن في الضحك ثم ينظرن باتجاه باب قاعة الطعام الجالسين فيها وإذا بي أراه يقترب نحوي.. أجل إنه هو فارس الأحلام.. أجل إنه ذلك المذيع المهندم صاحب الابتسامة الساحرة.. أفاجأ بثلاثة عازفين بجواري أخذوا يعزفون مقطوعة رومانسية آسرة.. أقترب أكثر فأصبح بين يدي.. شعوري سعيد باضطراب.. أنظر لـ..

- «بقلك إيه؟ بقلك إيه؟؟».

- «اييه نعم يا بابا».

- «سيبك من النوم على المكتب وقومي اتلحلحي بقى.. شيكي على المعمل كده يمكن يكونوا العيال دخلوا دلقوا حاجة كده ولا كده من ساعة

الفرح.. لازم العيادة كلها تبقى نضيفة قبل ما نشتغل.. يلا يا حبيبتي أنا عارف انك تعبانه بس كام يوم وهنبتدي شغل.. يلا يلا».

- «ماشي يا بابا حاضر».

أتنهد قليلا وأنا أقوم متثاقلة من على المكتب.. بفضل أبي عدت إلى واقعي الكئيب مرة أخرى.. «وماله المعلم سامي» حتى وإن كان قد سبق له الجواز.. فلولا تعدد الزوجات لبارت النساء.. أدخل غرفة المعمل.. أغلق باب المعمل ورائي.. وأعود لأهرب إلى أحلامي مرة أخرى..

لن أسمح لبطالتي بذلك..

«العمل هو العلاج الأنجح لكل المصائب والمآسي التي تصيب البشر».

توماس كارليل

وأنا الآن أطل من شرفة العيادة.. أنتظر أن تمر ربع الساعة هذه فنكون قد بدأنا العمل رسميا فيها.. أتذكر جيدا ما مر خلال الـ8 شهور الماضية.. لم تكن الفترة الماضية تعكس مظهرا من مظاهر الحياة بأي شكل من الأشكال.. كنت أتنفس.. أذهب.. آتي.. آكل بضرورة.. أنام كشيء أساسي.. لكن كان بداخلي شيء ما يموت باستمرار.. تنطفئ ابتسامة حقيقة لتتوقد شعلة من اليأس والاكتئاب.. أقضي يومي بيومي.. لا داعي للتخطيط للغد فهو لن يحمل أي جديد.. بالتأكيد لن يحمل أي جديد فأنا العامل الأساسي في حياتي قد سلمت مفاتيحي لغيري.. فأصبحت أنتظر أن يأتي لي أحدهم بالفرج.. أصبحت أنتظر وأمسيت أنتظر.. وأنتظر وأنتظر..

وضعت لنفسي طريقا لم يتغير لون إشارته الحمراء بعد.. كان أسهل ما يمكنني فعله هو لعن كل ما يقف في طريقي.. فالجامعة التي لم تعيني لعينة في المقام الأول.. والظروف التي حالت دون التحاقي بالدراسات العليا لهذا العام لعينة بدورها.. والأوضاع الاقتصادية المتردية في البلاد لعينة هي الأخرى.. بل إن التحاقي بقسم السياسة منذ البداية والذي لا أتذكر أسبابه لعين أيضا.. فكل ما هو سبب في بطالتي لعين.. حتى أصبحت حياتي أنا هي اللعينة.. كلعنة الجحيم بل أشد.. نعم كانت بطالتي بفعل فاعل.. لكن يوم استسلمت لها كان بفعلي أنا.. يوم ألقيت بنفسي في طرقات الاكتئاب وأزقته كان ذلك بفعلي أنا.. يوم لم أبحث عن طريق آخر مخضر الإشارة كان ذلك فعلي أنا..أعترف أني استبدلت سعادتي بالنجاح وتحقيق أحلامي بسعادة مؤقتة تتمثل في تعلقي بالتلفاز أو اللاب.. أو حتى بعض المواقف التي قد ادعيت أنها مغامرة مثيرة.. وحين فعلت ذلك كان زعمي أنني ضحية ظروف خارجة عن إرادتي وأنه لا شيء آخر يمكنني فعله.. ما كنت أعي بعد أنه بالتأكيد هناك دائما شيء آخر يمكنني فعله.. فأنا «الفاعل» في حياتي.. سواء كنت فاعلا صريحا أو مستترا..

انتقلت من لعن كل ما أدى لبطالتي إلى محاولة الإقلاع عنها

بجميع الطرق غير الفعالة.. فامتهنت المسلسلات وجعلت الحاسوب «دراعي» اليمين.. أو بمعنى أدق أصبح دائما معلقا في «دراعي» اليمين لا يفارقني فأنا لدي أعمال مهمة ما بين تجديد حالتي الـ«فيس بوكية» أو مشاهدة تلك الحلقات.. أصبحت أقيس الطرقات بين بيتنا والعيادة وأنا أوهم نفسي بأني فعالة في هذا المجتمع لو تخلي أبي وأخي عني ليوم تنقلب الأوضاع ولا ننجز شيئا ما يذكر.. مع أني الآن أدرك أن مشاركتي لم تكن أكثر من التشرف بإطلالتي في المكان لا أكثر.. لا عفوا بل كان هناك أيضا تذمري الدائم من العمل.. الذي غالبا ما كان يقوم به أبي وأخي.. رحت أبحث عن فارس أحلام يحقق لي أحلامي بدل أن أبدأ بتحقيقها لذاتي.. أصبحت أرى في أي عمل بسيط يمكنني فعله موهبة فذة لا يستطيع أحد غيري فعلها..

كان لا بد لي من مواجهة الواقع.. فأقصر طريق للتغلب على مشكلة ما هو الاعتراف بها والاستعداد لمواجهتها.. نعم أنا أعاني البطالة.. بطالتي تسمح لي بفعل أي شيء تافه قد يخطر على بالك.. يكفيني تهكما على وضعي الحالي لا بد أن أنخرط في أعماق نفسي لأجد حلولا جذرية لهذا الأمر وإلا فقدت عقلي من شدة الفراغ.. لا ليس الحل في أن أقضي أوقاتي أمام المسلسلات التركية، لا ليس الحل أن أبحث عن

ارتباطي بأحدهم كي أشغل وقتي على أن أتوقف عن انتظار أن يصوغ لي أحدهم معنى لحياتي وأن أبدأ أنا «نفسي» باستخراج جميع المعاني الممكنة منها..

يحسب أحدهم أنه وقع ضحية للبطالة حين تأخذه قدماه لطرق الانحراف والمخدرات وذلك العالم الأسود.. لكني تعلمت أنه بمجرد ضياع يوم دون استفادة قصوى منه هو يوم باطل.. يوم عاطل.. يوم تعاني أنت فيه بالتأكيد من البطالة..

تعلمت من ذلك أن أضع جميع السيناريوهات المحتملة وأن أملأ حياتي بخطط احتياطية.. المهم أن أحقق ما أريد.. إن أغلق باب فالخيرة في باب آخر.. طالما أني أعرف كيف أريد أن ينتهي بي الوضع فسأصل إليه بأي من الطرق المشروعة.. ومن هنا تعلمت أن وضع احتمال 1٪ «لعدم حدوث الشيء» سيقي عقلي من الصدمات.. فلن يسير كل شيء بالضرورة كما أريد.. تعلمت أن الحياة هي التعامل مع المعطيات المتوفرة لديك لتصنع أفضل النتائج منها..

تعلمت أن أسوأ ما قد يبتلى به المرء هو الفراغ.. أما وإن كنت لا تعاني من الفراغ فأسوأ ما قد تبتلى به هو يُسَلط عليك من يعاني من فراغ.. كانت دائما ما تحركني بطالتي.. أما الآن فلن أسمح لبطالتي بذلك..

أقلب ناظري هنا وهناك.. أجوب بعيني كل زاوية بالعيادة.. اللون الأبيض والأزرق يطغى على المكان حتى إنك تشعر أن المشهد ينقصه أن يخرج أحد السنافر من أحد الأبواب.. أفكر أنه سيتعين علي أن أعمل قليلا بالعيادة كسكرتارية.. لكن لن يكون هذا آخر المطاف أعلم.. ربما أستغل شغفي بالأفلام التركية فأتعلم اللغة التركية.. ربما لن أستطيع فعلا مفارقة اللاب توب أو «أفيون الجيل الثالث» كما تسميه أمي فأتعلم البرمجة فتكون صحبتنا فيما ينفع.. سأكمل دراستي في السياسة بالتأكيد وربما ألتحق بمجال آخر.. ربما أسعى لأتعين في إحدى المجلات الشهيرة بمتابعة أخبار كرة القدم فأكون قد ضربت كرتين بركلة واحدة.. ربما سيأتي علي وقت لا أملك حتى من الفراغ خمس دقائق.. لا ليس ربما بل بالتأكيد سأصنع شيئا ما من حياتي أعلم أن ذلك.. لن أكرر ما عشته في الـ8 أشهر الماضية.. فأنا لن أسمح لبطالتي لذلك..

للتواصل مع الكاتبة

الإيميل:

alaa.shamardal@gmail.com

الـ«فيس بوك»:

www.facebook.com/alaa.shamardal

«تويتر»:

Olenoo@

المدونة:

http://alaa - shamardal.blogspot.com



الفهرس



بطالتي تسمح بذلك



آلاء شمردل

لحظات تحبس الأنفاس.. فلحظات تحبس الأنفاس أكثر..

أنت نفسك لا تستطيع إلا أن تحبس أنفاسك أكثر فأكثر، حتى تنسى معها أن تطلق عن أنفاسك مكابحها!..

فتختنق..

المغامرة دائما حاضرة.. المتعة هي كلمه السر.. والتشويق هو البطل الأوحد في القصة..

الزمن لا يتمهل.. والثواني تحسب بالفيمتوثانية.. والأحداث في تواليها، كأمطار منهمرة في ليله رعدية عاصفة..

كل هذا و أكثر، لن تجده في هذا الكتاب..

فبطالتي لم تكن تسمح بذلك..

أو هكذا اعتقدت!...



مع ازدياد كم الأعمال التي يبدعها الشباب -خاصة بعد ثورة يناير العظيمة- وفي ظل الظروف الحالية التي تمر بها مصر، أصبح سوق النشر والتوزيع في حالة ضعيفة، خاصة مع استمرار ازدياد أسعار الخامات، وإحجام كثير من دور النشر على ممارسة نشاطها بتوسع، وضعف القدرة الشرائية للقارئ المصري، كذلك صارت عملية النشر محفوفة بالمخاطر، التي تخيف طرفيها - الناشر والقارئ - على حد سواء..

وكانت الدار نفسها من الدور التي تأثرت - وبشدة - اقتصاديا، ومع اضطرارها لإغلاق باب تقديم الأعمال هذا العام، فكرنا في حل بديل، هو النشر لمن يستحق.. وتطورت الفكرة كثيرا، إيمانا من دار ليلى (كيان كورب) بأهمية الحركة الثقافية، وحرصا منها على استمرارها في دورها، وإيمانا منها - كما عهدتموها- بالشباب الموهوب.. ليصبح بين أيديكم، هذا الكتاب.

الناشـــر

